الجلال والجمال

في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم

الطبعة الخامسة

جماد الثانى ١٤٣٤ - أبريل ٢٠١٣

المجلد الأول

دكتور

سامح القلينى

الطبعة الأولى : رمضان ١٤٢٩ / سبتمبر ٢٠٠٨
الطبعة الثانية : محرم ١٤٣١ / ينايـر ٢٠١٠
الطبعة الثالثة : رجـب ١٤٣١ / يوليـو ٢٠١٠
الطبعة الرابعة : محرم ١٤٣٢ / ينايـر ٢٠١١

يطلب من :
المؤلف الدكتور/ سامح عبد الفتاح القلينى
E-mail: sameh_kaleeny@yahoo.com
ت : ٠١٠٣٨٤٠٥٠٧

ومن مكتبة وهبـــة
١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة
ت : ٢٣٩١٧٤٧٠
ومكتبة الصحابة بطنطا وفروعها
ت : ٠٤٠/٣٣٣١٥٨٧
والمكتبـات العامـــة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٨/١٧٢٠٠
بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الأوقاف

مشيخة المقارئ المصرية

أ.د. أحمد عيسى المعصراوي

شيخ عموم المقارئ المصرية

« تقديم وتقدير »

(هذا الكتاب في جملته درة عزيزة وسفراً جليل جديد من نوعه وشامل، لم يسبقه إليه غيره، وسوف يسد سداً عزيزاً وركناً غالياً عالياً في المكتبة الإسلامية، التي هي في أشد الحاجة إليه. فقد أثبت مؤلفنا العزيز - بالدليل والبرهان العملي - أنه كتاب «أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» وأنه كتاب لا تنقضي عجائبه ولا يجف ينبوعه، ولا يتوقف عطاؤه على مدى العصور والدهور، قدم المؤلف فيه شرحاً علمية عالية الشأن، استخرج بعضها من بطون كتب علماء التفسير والبيان وبعضها الآخر من بنات أفكاره بعد طول التأمل والتدبر على قواعد المنهج العلمي الرصين، ففتح الله له مغاليق بعض أسرار كتابه..

ومن محاسن المؤلف في دراسته تلك أنه يذكر أولاً ما قاله غيره من أئمة التفسير وفرسان البلاغة والبيان، مضيفاً إليهم خلاصة فكر علماء القراءات وعلوم القرآن، ومزيناً ذلك بعلم الصوتيات، ثم بعد ذلك يدلي بدلوه في الموضوع إما موافقاً أو مضيفاً أو مخالفاً بأسلوبه السهل الممتنع البعيد عن التعقيدات والمصطلحات النحوية واللغوية التي تصعب على قارئ العصر الذي نعيشه. فكان من الكتاب بحق درة لا يستغني عنه العلماء أو الدارسون أو أي تالٍ لكتاب الله تعالى

وليس عجيباً على المؤلف أن يصدر عنه هذا العمل الجليل فإن له باعاً طويلاً في الدفاع عن القرآن الكريم وله مؤلفات كثيرة في ذلك أثرى بها المكتبة الإسلامية.

وفقه الله ورعاه وأسعد المسلمين.)

أحمد المعصراوي

رئيس لجنة [illegible] المصحف

والأستاذ بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وبعـــــد

لقد مـنّ الله علـيّ بمطالعـة أوراق هذا البحث المتعلق برَسم المصحف الذي يُعَدُّ من وجهة نظري لوناً من ألوان إعجاز القرآن ، فكما أن القرآن معجزٌ في ألفاظه وتركيبه فهو معجزٌ في رسمه، وهذا بابٌ ينبغي أن يبذل كل باحثٍ فيه جهده لإظهار كوامنه وإبراز خوافيه.

والأخ الدكتور/ "سامح القليني" أحسب أنه من الذين ينطبق عليهم ذلك لأنه خاض غمار هذا البحـر الهائـل وحـاول أن يُجَلّـي بعضاً من أسراره من خلال نظرة تأصيلية منهجية ، وكان مـوفقاً حـيث قـام بجمع الألفاظ في الوضوع الواحد حذفاً وإثباتاً ووصلاً وفصلاً ونحو ذلك من الأمـور المتعلقة برسم المصحف، وشمّر عن ساعديه ليبرز الكوامن من خلال قواعد ، ويكشف عـن الجمال من خلال منهج، ولم يقف الباحث عند هذا الحد بل سار في معالجةِ بابٍ جديدٍ يعـرفه علمـاء الصـوتيات وهـو الإعجـاز الصوتي للكلمة، وكانت للباحث محاولة جديدة في الجمـع بـين إعجـاز رسـم الكلمـة وتـركيبها والآداء الصـوتي لهـا مـن خلال وجوه القراءات الواردة فيها أيضاً ،

ووقـف الكاتـب مـع هذا الوجه من الإعجاز الصوتي وحاول أن يُظهر لنا بعضاً من ملامح هذا الإعجـاز الـذى ينبغـى على علماء العصر أن ينشغلوا به لا سيما مع التقدم العلمى الهائل في دراسـة الأصـوات كماً وكـيفاً، وصـوت لفظ القـرآن لـه آداؤه الذى يؤثر في القلوب من خلال موضعه في الفاصلة وغيرها.

فكـــان هـــذا الـــبحث كمـــا سمّاه الباحث بحق جامعاً بين روعة الجلال وحسن الجمـــال في معالجة هذا البحث الذي يُعَدُّ إضافةً إلى المكتبةِ الإسلاميةِ عموماً وإلى مكتبة القرآن خصوصاً.

الأستاذ الدكتور/ سامي عبد الفتاح هلال

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ ص

إن القران الكريم يحمل جوانب متعددة من الإعجاز ، وإذا كان العلماء قد تناولوا هذه الجوانب وأفاضوا فيها وأدلى كل واحد بدلوه من زاوية تخصصه ودراسته. فإن هذا الكتاب (الجلال والجمال فى رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم) لمؤلفه الدكتور / سامح القليني، هو إضافات متعددة كثير من أوجه الإعجاز المختلفة والمتنوعة وربطها برسم الكلمة وجرسها في هذا الكتاب الخالد .. و إذا كان هناك من سبقه في هذا المجال فقد انفرد الباحث بأمور متعددة وكان له ملمح جديد ومتميز للإعجاز القرآني في رسمه العثماني . ولم يكن هذا البحث جمعا من بطون كتب التفسير أو نقلا منها وإنما كان جمعا ودراسة وتحقيقا ومناقشة بأسلوب علمي هادئ ورصين . وإذا ردَّ الكاتب رأياً أو ناقش مخالفيه ، للحق والصواب، فإنه لا يرده تعصبا وإنما يرده بأدلة قوية لا يقوي معها مخالفيه على المواجهة أو الاستمرار.

ولا شك أن جرس الكلمة له علاقة برسم المصحف، والجرس والرسم كلاهما يؤدي دوره في الإيقاع والتأثير، وتأمل جرس الكلمة في قوله تعالى في قصة هود عليه السلام (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) فالجرس يصور المشهد المفزع المخيف العاصف (صرصر) في تكرار مقطعي الكلمة وصوتها وهي تنزع الناس وتحطمهم كأنهم إعجاز نخل مهشمة مقلوعة من جذورها.

وهاهى الكلمة برسمها- كما يبرزها الكاتب- تصور طائف من الشيطان(طيف) وطائف من ربك (طائف).. وترسم أيدى الخلق بياء واحدة(بأيدى سفرة)(داود ذا الأيد) و ترسم يد القدرة التى بنت السموات والأرض بياءين (والسماء بنيناها بأييد).. وتفرق بين علو الخلق على سليمان ("ألا" تعلوا على) وعلو الخلق على الله ("أن لا" تعلوا على الله)، وتفرق بين صفات الخالق تعالى نفسه فى صفة الذات (ذو الجلل)وفى صفة الفعل بوضع الألف (الإكرام).. كما فرقت بين ضعفاء الدنيا(ضعفاء) وضعفاء الآخرة

(ضعفــوا) ودعاؤهم فى الدنيا(دعاء الكافرين) ودعاؤهم فى الآخرة (دعــوا الكافرين)، بل و(آناء الليل) للمؤمنين وغيرهم و(ءاناىء الليل) لمحمد (ﷺ) بــل وبــين الحجــاب المضروب على نساء النبى(ﷺ) (من وراء حجاب) وحجاب العظمة والكبريــاء لله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴿٥١﴾) وهكذا الكثير والكثير الذى يعيشه القارىء ويستمتع به أيما تمتع فى داخل هذا البحث العظيم والممتع.

فما أجمل أن نقف على هذه الدقائق .. وما أجمل أن يطوف بنا المؤلف حول هذا النوع من الإعجاز يفتح أمام القارئ آفاقا جديدة حول كتاب الله وقرآنه حتى يتبين أنــه (لا تنتهي عجائبه) ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب طلاب العلم والمعرفة وأن يجعله في ميزان حسنات مؤلفه إنه سميع الدعاء .

الأستاذ الدكتور

القصبي محمود زلط

نائب رئيس جامعة الأزهر

عضو مجمع البحوث الإسلامية

إهـــداء

من الأستاذ الدكتور العلامة (محمد الأمين الخضرى) أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية فى جامعات مصر والدول العربية، هذا الإسم الغالى على قلوبنا وعلى أسماع أساتذة ودارسى البلاغة والبيان فى كل مكان، وهو صاحب المكتبة الإسلامية المتميزة بأبحاثها التى تجذب القارىء بعنف إلى قراءتها مرات ومرات، وقد شاء الله تعالى أن يطلع على كتاب (الجلال والجمال) هذا فى طبعته الأولى وأن يكتب هذا الإهداء:

"إلى من أفاض الله على قلبه من أسرار الإعجاز ما أشرق به قلمه فى قلوب القراء ، الأخ الكريم الدكتور/ سامح القلينى

حباً وتقديراً .

أ.د. محمد الأمين الخضرى



مقدمة وختام من الأستاذ الدكتور: «ظهران محرم»

أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم حمداً يليقُ بجلالك، وأصلّي وأسلم على خاتم أنبيائك ورسلك"محمدٍ"(ﷺ)

وبعد

فإن القرآن الكريم هو كتاب المسلمين الأول ومعجزة الإسلام الكبرى الباقيةُ بقاء الأطواقِ فى الأعناق، التى تحدى الله بها أساطين البلاغة وفُرسانَ البيان فعجزوا عن الإتيان بمثل أقصَر سورة من سوره، لأنه كتابٌ ساطعٌ برهانُه قاطعٌ تبيانُه، وَحْىٌ ناطق ببيِّنات وحجج، قرآنٌ عربىٌّ غير ذى عوَج، جامعٌ للمصالح الدينية والدنيوية مصدقٌ لما بين يديه من الكتب السماوية. وهو ميدانٌ طالما تَبَتَّل فى محرابه علماؤنا الأقدمون، وأفْنَوا أعمارهم فى البحث عن أسراره وبيانه، كلما مضى جيلٌ خَلَفَه آخر، كل ذلك بِصبرٍ لا يعرفُ السآمةَ ولا الملل، فخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضحت عزائمهم وانيةً، وهِمَمُهم فاترةً، لا تستشعرُ الحماسَ أو الدَّفْق الذى كان يترَعُ قُلوبَ أسلافنا فى السنوات الخوالى.

ومع ذلك فإن فضلَ الله واسعٌ ، وعطاؤه سابغ، ورِفْدُه لعباده متواصلٌ ، والعلم لا يقتصر على زمنٍ دون زمن، ولا قومٍ دون قوم، بل جعله الله مشتركاً مقسوماً بين عباده، يُفْتَح للآخر فيه ما أغلقَ على الأول.

ومن هَذا الفتح الربَّانىّ هذا المؤلــّف القيِّم الذى بين يَدَىّ الآن (موسوعة الجلال والجمال فى رسم الكلمة) الذى دبَّجَتْه براعة (قلم) أستاذنا الدكتور/سامح القلينى، يُبيِّن فيه طرفاً من الإعجاز القرآنى فى الرسم العثمانى، وهو عملٌ لم يُسبَق إليه اللهم إلا نُتفاً يسيرةً منشورةً فى معاطف المصادر القديمة جمعها وزاد عليها بما فتح الله عليه.

وإذا أردت أن تقف على الإعجاز فى رسم الكلمة فاقرأ على سبيل المثال"قبض التاء وبسطها"، "الفصل والوصل"، وبحث"تراب" بالألف وبدونها، و"تبارك"بالألف وبدونها، و"الملأ""الملــؤا" وشبيهاتها، فلن تملك إلا أن تخرَّ ساجداً لجلال وجمالِ هذا القرآن المعجز، وقد توفَّرت على قراءة هذا الكتاب قراءةً متأنيةً، فألفيْته بحراً زاخراً، يقدِّم لنا فيه زُبدة دراسته، وثمرة خبرته، بعد جهاده الطويل وتطوافه القديم فى ميدان كتاب الله، فلقد جلست أردد الطرَف فى موضوعاته الشائقة، وفيما ضمَّت الموضوعات من فوائد وفرائد، فالْتَمَعَ فى خاطرى عظمة هذا المؤلــّف، الذى تناغمت موضوعاته على نسقٍ واحد، ونظامٍ فريد، فكان صورةً نابضةً تُعبِّر عن وجدان المؤلــّف تُجاه إعجاز القرآن، وتأخذُ بأيدى الباحثين إلى منهجيّة أدق، وأسلوب فى التناول يُلقُون على شاطئه مراسيَهم، يرسُمُ آفاقاً ريَّانةَ لمن دونهم فى السُّلَّم العلمىّ، خطوطها زاهيةٌ ألوانها ، وخيوطها متلاحمٌ نسجُها. وفيه حشدٌ من الإعجاز القرآنى تَقَرُّ به عيونُ العلماء.

وما أشبه هذا الكتاب- وما اتصل به من دراسات ومباحث- بُسْتَانِىْ فَنَّان استهوته الخمائلُ، فتنقّل بين الأيك والغصون، وأمضى سنيّه في تلك الرِيَاض النَّوَاضِر يجتلي أزهارها، ويتعرف أسرارَها ويأنس بما يتجاوب فيها من لحن الطير ونجوم السماء، ثم أطَلَّ علينا من ربواها وبين يديه قَوْصَرةٌ فواحة الأريج، حاليَّةٌ بأحسنِ ما قُطِفَ من ألوان الرياحين.

فلله دَرُّ المؤلف لقد وقف على القمة ينفض جَعْبَته محتويةً نتاج الحرث والبحث والاستزادة والتقويم، وهو فى ذلك يُملكه الخلق العلمى المتين الذى يُملى على العلماء ألا يَضِنُّوا بما حَصَّلوا، وألا ينفردوا بما عرفوا، وأن يلتمسوا إلى نفع الناس بعلمهم كل سبيل.

يعرض أستاذنا مباحثه فلا يروعنا بالنصوص يقتبسها ولا بالمراجع يسردها، وإنما هو يفقه مبحثه كل الفقه ويطمئن إلى الرأى فيه كل الاطمئنان، ثم يحكم عن علمٍ ويصدرُ عن وثوق.

فدونك- أيها القارئ- هذا المُصَنَّف القيِّم، الذى نحسب أنه جديدٌ فى بابه عظيمٌ فى لُبَابه، يحتفى بالأسلوب المتوهج والمبحث العميق، وهو مزهوٌ مغتبطٌ لاتصاله بكتاب الله العظيم.

وأُهدى هذه المقدمة العَجْلى إلى أستاذنا الأستاذ الدكتور"سامح القلينى" طالباً الصفح عما وقع من تقصير وخلل(أى فى هذه المقدمة) قائلاً له:

فَيَا أَيُّها الأُسْتَاذُ خُذْهَا ظَعِينةً ... مُقَنَّعَةً شَعْثَــاءَ تلتمسُ العُذرا

فقابلْ جَفَاهَا بالقَبُول وَأَوْلِهَا ... من العَفْوِ جِلْبَابَاً يكَونُ لها سِتْرا[1]

أسأل الله تعالى أن يُباركَ فى عُمُرِه، ويجزيه عما كَتَبَ الجزاء الأوفَى بما أظهر من مكنونات أسرار كتاب الله المعجز.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامدًا لله مصليًا على رسوله.

الأستاذ الدكتور: ظهران طلبه عمر محرم
أستاذ اللغويات بجامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية
فى ١٣ شوال ١٤٣١ بعد صلاة الظهر.

---

(١) يريد الكاتب – أكرمه الله – أن يقول : يا أيها الأستاذ الدكتور/سامح خذ هذه المقدمة الكسيرة المتواضعة الشعثاء التى لا تليق بمقام هذا الكتاب وتلتمس العذر ونطلب منك أن تقبلها وأن تسترها بثوب العفو عن هذا التقصير فى إعطاء هذا الكتاب حقه من التقدير.
وهذا القول من أستاذنا العظيم هو من كرم أخلاقه وتواضع العلماء ومبالغة سيادته فى مدحى بما لا أستحق وجزاه الله عنى وعن الإسلام خيرًا.

ماحاوله البعض- من العلماء وغير العلماء- من محاولة تغيير رسمه وإطلاق الدعاوى الباطلة والمتعجلة عليه التى فندتها هذه الدراسة.

إنها حقاً رحلة ممتعة أترك قارئنا الحبيب أن يعيشها بنفسه ، داعين الله لمؤلفنا الحبيب أن يوفقه فى باقى إصداراته فى وجوه الإعجاز المختلفة.

وليس غريباً على المؤلف أن يصدر عنه هذا العمل الجليل ؛ فقد عرفته فى صباه فتوقعت له النبوغ ، ثم تجددت معرفتى به بعد ذلك فرأيت من شواهد نبوغه مافاق توقعاتى حينما عرفته سابقاً- فى سبعينيات القرن الماضى- كان أحد تلاميذى ، وكان أشد ما لفتنى من إرهاصات نبوغه تلك الأسئلة العميقة التى تجاوز مرحلته السنية، والتي كان يطرحها حيناً حول ميدان الدرس وأحياناً حول ميادين لا تمت إلى هذا الميدان بصلة غير أنه كان يصر على طرحها ويتشبث بالاسترسال فيها حتى يبادره الاحساس بضيق وقتى أو بضيق بعض أقرانه فيعقد لسانه الخجل!!

وحينما تجددت معرفتى به لا حقاً- منذ عامين- أدركت أن كلاً من هذين النوعين من الأسئلة قد آتى ثماره اليانعة لديه . أما الأول فقد سلك به طريق التفوق العلمى حتى صار الآن أحد العلماء النابهين فى تخصصه. وأما الثانى: فقد كان طريقه إلى البحث العلمى الذى حقق به مامأمتع العقول وشرح الصدور فيما ألف من مؤلفات أو فيما قدم ويقدم فى برامج الفضائيات، ذلكم العالم الباحث هو تلميذى النجيب بالأمس ، وأخى الحبيب اليوم د. سامح القلينى

ويطيب لى أن أقدم هذه الشهادة- وأصر على أن أسميها شهادة – وليست مقدمة-لأنها شهادة نابعة وصادقة من القلب- فى صدر هذا الكتاب الممتع بعد نفاذ طبعته الأولى

فالله أدعو أن يرعاه وأن يسدد على درب الطريق خطاه

الأستاذ الدكتور/ حسن طبل
أستاذ البلاغة والنقد بكلية دار العلوم

وتحت عنوان (شهادة) كما أصر آن يسميها هكذا صاحبها الأستاذ الدكتور **(حسن طبل) أستاذ البلاغة والنقد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.** هذا العالم الذى يطرب بأبحاثه المتعمقة العقل والوجدان.. يقول عن كتاب (الجلال والجمال):

(ماأروعه وماأبهاه وما أبهره وما أجمله هذا النص القرآنى المعجز.. وما أشد روعته وإبهاره حينما يبرز لنا الكاتب تعدد وجوه الجمال مع الإعجاز فى آنٍ واحد، التى تتواصل على مدى الأجيال والدهور.

فقد سمعنا ودرسنا كثيراً بعضاً من نواحى الإعجاز فى نظم الآيات وبلاغة الكلمات، ومازال الباب مفتوحاً على مصراعيه لم يغلق بعد

وسمعنا ودرسنا ألواناً كثيرة من الإعجاز العلمى والغيبى والتشريعى والتاريخى والنفسى والعددى وغيرها من وجوه الإعجاز فى هذا الكتاب الخالد (الذى لاتنقضى عجائبه ولايشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد).

لكن كاتبنا الوهوب يقودنا فى هذا الكتاب إلى دراسة ممتعة تضيف إلينا لوناً جديداً وطريفاً وممتعاً ومبهراً من (الجلال والجمال) فى رسم الكلمة فى القرآن الكريم، ويبرز لنا بعضاً من سحر وجمال هذا اللون من الإعجاز الذى فاق التوقع والتصور والخيال.

ومما زاد الجمال جمالاً والجلال جلالاً هو إبراز كاتبنا الحبيب - بأسلوبه الرشيق - هذا التناسق والتناغم بين رسم الكلمة (بحروفها وصورها المختلفة) وبين المشهد التصويرى الذى ترسمه هذه الكلمة، لترسم لنا أروع وأبهى صورة فنية ترسمها يد القدرة فى كتابه العظيم ، تطرب العقل وتهز الوجدان، وتبرهن على أن مصدر هذا الوحيِ واحدٌ من لدن الحكيم الخبير الذى تعهد بحفظ كتابه حيث قال {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر.. ولا يوجد أكمل وأصدق حفظاً من أن يظل هذا الكتاب المعجز كما هو برسم حروفه- التى تخالف القواعد الإملائية المعروفة- دون أدنى تغيير، رغم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد رسول الله بلّغه كما أنزل ناصعاً أبلجاً ، ورضي الله عن كل الصحابة وتابعيهم بإحسان وبالأخص من حمل القرآن مدلجاً ، ونفعنا به وبهم نفعاً ظاهراً وباطناً بالغيث مفرجاً .

أما بعد

فلقد كنت ـــ وما زلت وأسأل الله تعالى أن أظل ـــ في خدمة القرآن وأهله حتى آخر نفس في هذه الدنيا ، فإن القيام على هذه الخدمة سبب عظيم لنور القلب وفقه الباطن .

وفي كل يوم نشرف بخير جديد ومتعة روحية عالية يتفضل بها علينا مولانا بخصوص القرآن الكريم ، وتتوالى الأنباء من المشرق والمغرب مفرحةً مطمئنةً على سير أهل القرآن على طريق النبي العدنان حفظاً ودراسةً وبحثاً وتعلماً وتعليماً وجواباً ودرساً يعطي القلوب راحةً والنفوس رحمةً .

ثم إنه من عظيم نعم المنعم عَلَيَّ في هذه الأيام أن أُهْدِيَ إليَّ عمل مبارك هو أيضا من الأعمال الخادمة للقرآن الكريم دَبَّجَهُ يَراع(1) مؤمنٍ مباركٍ حَرِصَ على إظهار جديد حسي ومعنوي يفرح به المؤمنون ويُسَرُّ به القارئون العابدون ، ألا وهو كتاب الجلال والجمال في رسم الكلمة وجرسها في القرآن الكريم

تعرفت على الكتاب قبل أن أتعرف على الكاتب ؛ فازددت يقيناً وثقةً في الله تعالى الذي نص في محكم التنزيل على أنه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]، فيقيض لخدمة كتابه الكريم والبحث فيه من يشاء من عباده .

ولَشَدَّ ما سعدت بمطالعة هذا البحث القيم الذي جمع فيه المؤلف ـــ نفع الله به الإسلام والمسلمين ـــ القديم الصالح مع الجديد النافع ، فنهل من موائد المتقدمين وفوائد المتأخرين، وأعمل روحه وبصره وفكره في الاستنباط من رسم المصحف وقواميس اللسان العربي حتى أخرج لنا هذا المرجع القيم .

---

(١) يراع يعني (قلم)

وإن كان المؤلّف يدل على المؤلف فأحسبه والله حسيبه من أهل القرآن الـــذين قال فيهم المصطفى ﷺ : " إن لله أهلين من الناس قالوا : من هم يـــا رســـول الله ؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته "(١).

وزاد من سعادتي أن أئمة العلم في بلادنا قد قدموا لهذا العمل المبارك خدمة شـــريفة للقرآن وأهله ، وأنا أعلم أنني لست أهلا لذلك، ولا ممن يخوض تلـــك المـــسالك ولكنها القربى إلى الله مالك الممالك .

والله العظيم أسأل أن يوفق المؤلف الكريم في جميع آماله وأن يتم عليـــه نعمـــة التسديد في جميع أعماله ، ولله الحمد والمنة وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم السيد البدوي أحمد سليمان

الشهير بمصطفى أبو سليمان الندوي

أستاذ الحديث وعلومه - جامعة المنصورة

خادم القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة

المنصورة في غرة رجب الفرد ١٤٣١هـ- ١٣ يونيو ٢٠١٠م

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٢١٥) ، وأحمد (٣/١٢٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدن محمد (ﷺ) وبعد ..

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ونوره المبين وسراجه المنير، ولقد تكفّل الله تعالى بحفظه مما تعرضت له الكتب السابقة من التحريف والتبديل فقال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

وتحقيقاً لهذا الوعد الإلهى فقد قيّض الله على مدى الدهور والزمان من العلماء من يقوموا بحفظه وتفسيره واستنباط أحكامه والوقوف على وجه إعجازه وبيان أسراره، وكذلك الاهتمام برسمه المعجز الذى ظل على كتابته الأولى منذ أن خطّته يد الصحابة الكرام الذين عايشوا وشاهدوا نزول الوحى الكريم من عهد سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ولا يزال الرسم العثمانى شامخًا كما هو محل بحث عند علماء المسلمين لتجلية أحكامه وبيان أسراره ووجوه إعجازه وكتبوا فيه أنفس الكتابات وأعظم المؤلفات ومن أعظم وأنفس ما وقعت عليه عينى فى هذا المجال كتاب (الجلال والجمال) للدكتور (سامح القليني). فقد اطلعت عليه فألفيته كتابًا عظيمًا فى بابه يتناول فيه مؤلفه تجلية أسرار الرسم العثمانى وجلالها فى أبهى وأجمل صورها التى توضح أن هناك أسرارًا عظيمة وراء الحكمة فى هذا الرسم الإملائى.

وإن هذا الكتاب بحق يُعَد إضافة عظيمة إلى المكتبة القرآنية أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وجميع المسلمين. وأن يجعله فى ميزان حسناته يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ...

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله

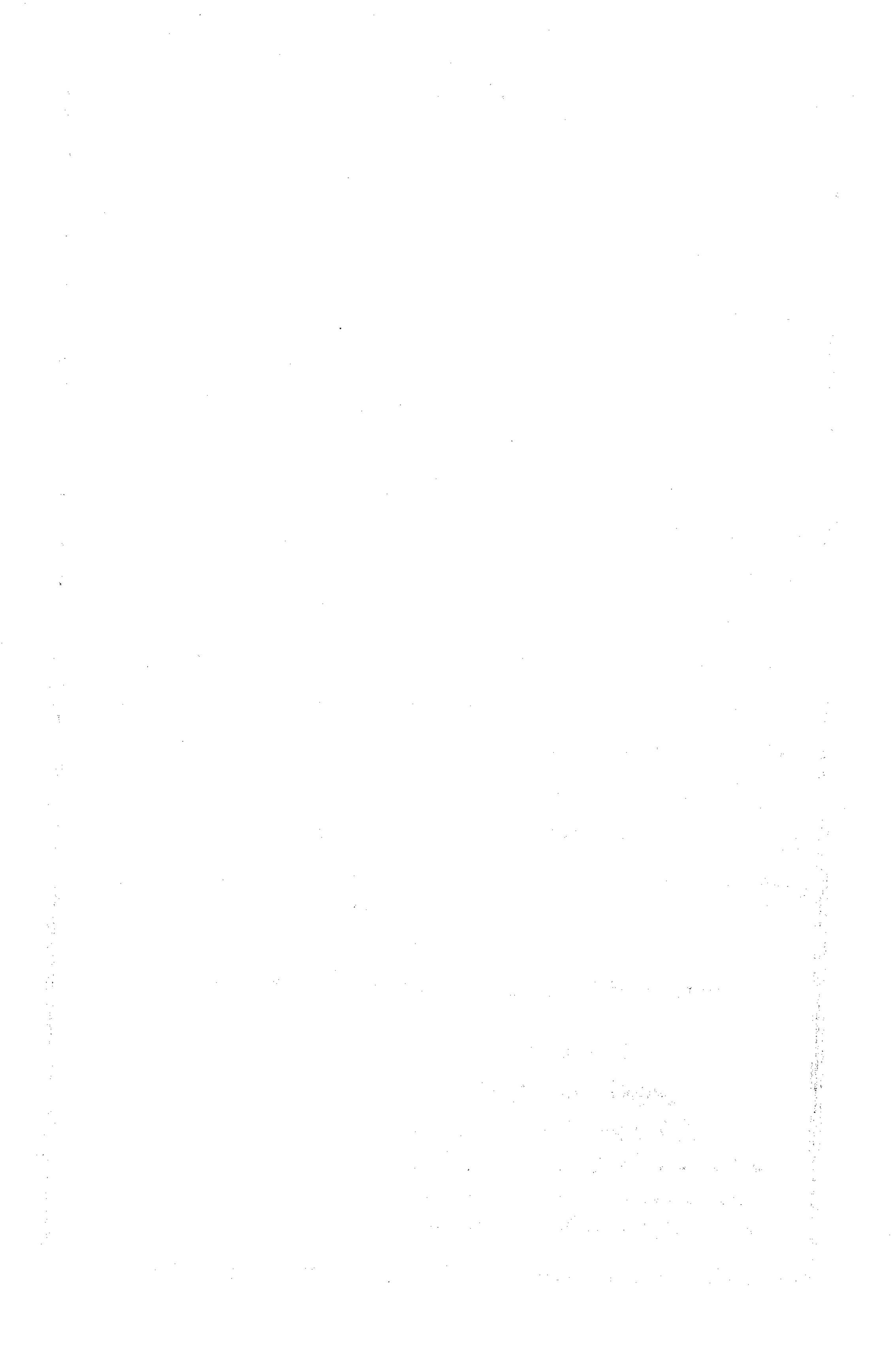
بشير أحمد دعبس

أستاذ القراءات وعلوم القرآن

بكلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر بطنطا

وعضو لجنة مراجعة المصحف الشريف

بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

فإن القرآن العظيم الكتاب الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾... وهو لا يزال المعين الذي لا ينضب يفيض بالعطاء المتجدد في كل عصر وحين. ويفتح الله من فضله على من يشاء من عباده فيكشف له أسرار كتابه والإعجاز في آياته .

وهذا إبننا الفاضل الدكتور: سامح القلّيني قد اختصه الله بفتح جديد في مجال جليل وخطير، ألا وهو: رسم الكلمات القرآنية وجرسها . ذلك المجال الذي تهيب منه كثير من العلماء فلم يخوضوا في توجيهه أو الاسترسال في أسبابه وأسراره، كما تجرأ فيه كثيرٌ من الجاهلين أو المغرضين فافترضوا فيه خطأً من الكُتّاب أو تطوراً في الكتابة عن أصل غير عربي . فأفاض المؤلف في توجيه رسم الكلمة القرآنية وجرسها مما يظهر الإعجاز الذي لا نقف أمامه إلا ونحن مسلّمون لعظمة هذا الكتاب الحكيم. فسبحان من هدى المؤلف العالم الفاضل إلى استخراج هذه الأسرار وعرضها بشكل شيق وجذاب وبدقةٍ علميةٍ غير مسبوقة . مما يَسُد ثغرةً في مكتبة علوم القرآن ويرد مطاعن السفهاء والمتشككين .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب أقواماً ويهدي به أقواماً آخرين وأن يجزي الله المؤلف خير الجزاء على ما قدمه لخدمة كتابه الكريم . وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه المحقق

علي محمد توفيق النحاس

الجامع للقراءات العشر – الصغرى والكبرى

وصاحب المؤلفات الكبرى الشهيرة فى علم القراءات



بسم الله الرحمن الرحيم

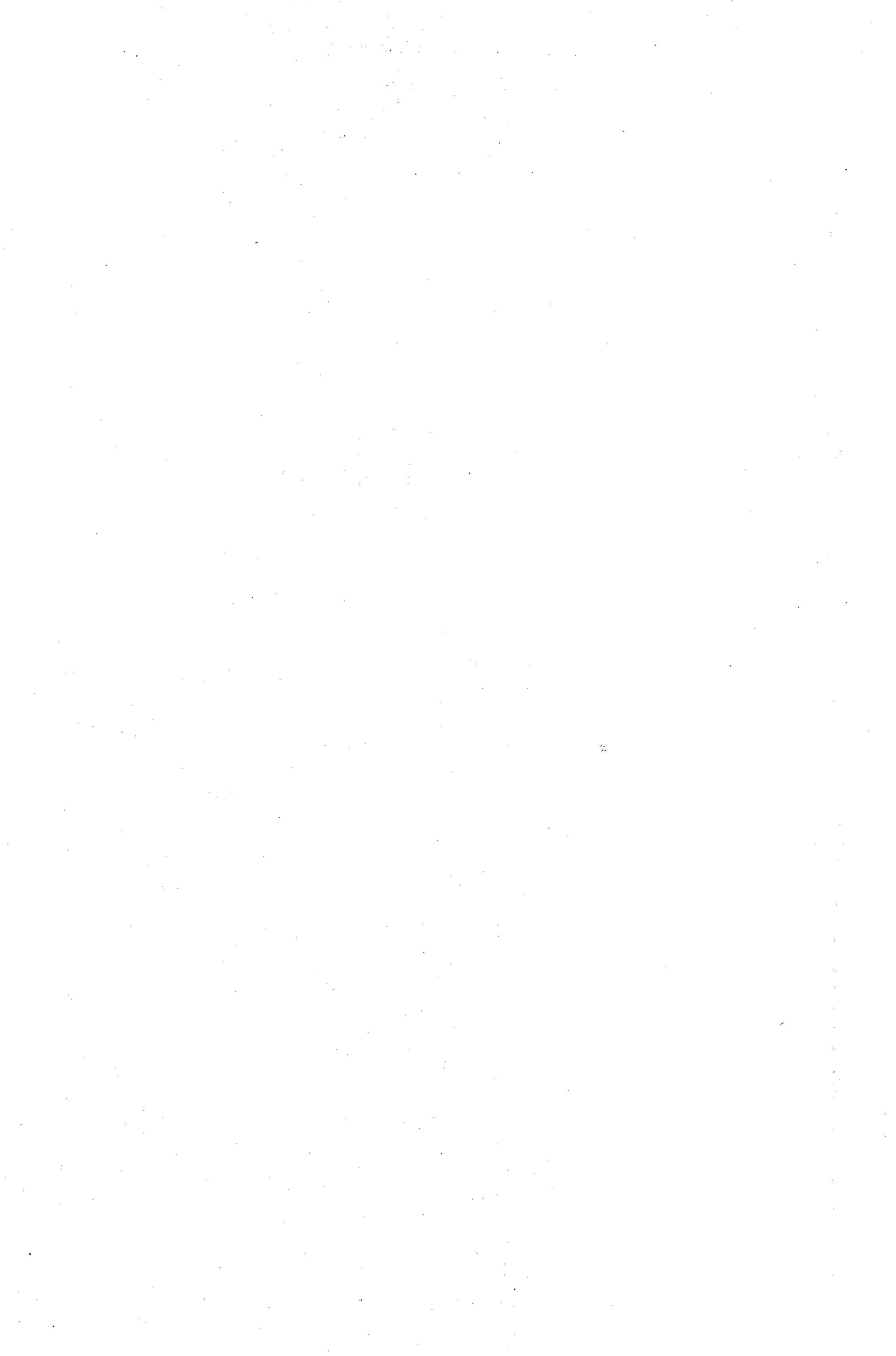
يقول الحق سبحانه (وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ .....) وقال سبحانه (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ....) وفى سطور القرآن أسرار وأنوار وكلمات يقف أمامها القارئ ويسأل عنها كثيرًا ولكن لا يجد لها جوابًا مثل كلمة (كتاب) فمرة تكتب بالألف ومرة أخرى بدون الألف ، وكلمة (طائف) مرة بالألف وأخرى بدون الألف .. ومثل هذه الكلمات الكثير والكثير. فمنَّ الله على أستاذنا الدكتور/سامح القلينى بفهم هذه الكلمات فأخرج لنا هذه الموسوعة المباركة ليبين لقارئى القرآن بأن هذا القرآن من عند الله ولا تبديل لكلمات الله وصدق الله (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ...).

تقبل الله من الدكتور/سامح القلينى هذا العمل وثقل به موازين حسناته.

الأستاذ المقرئ

أحمد عامر

خادم الوحى محفظ القرآن الكريم
بالإذاعة والتليفزيون
وعضو مجلس نقابة محفظى القرآن

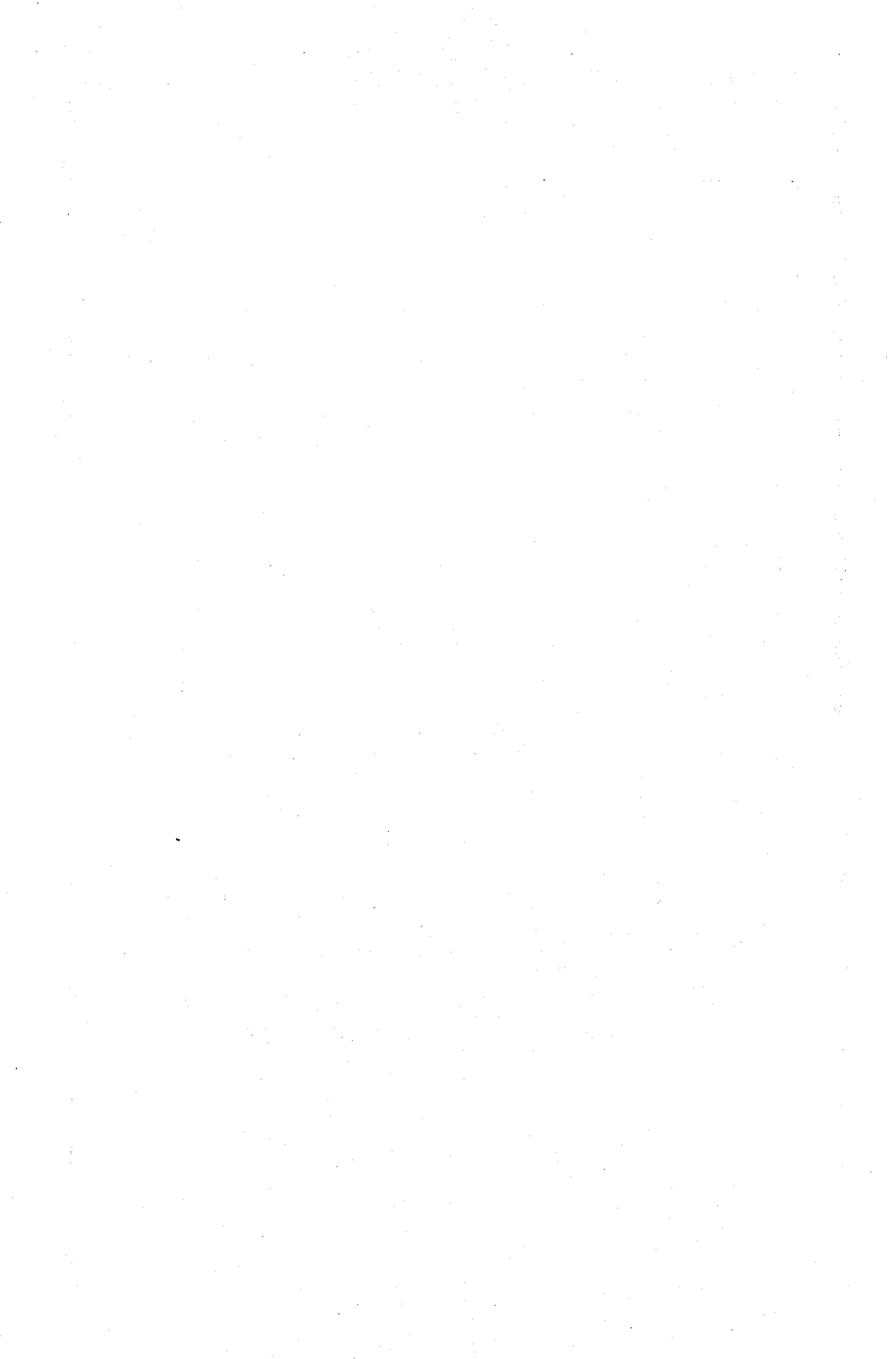


إهداء

أقول: أنا لاأستحق هذا الثناء أو هذه الشهادات من أساتذتى وعلمائى الذين أشرف بهم وبذكر إسمهم ، وأقسم بالله العظيم أنه ما جمعنى بهم إلا الحب فى الله وحبى لعلمائنا الأجلاء الذين يخدمون كتابه -وهم فى مقدمتهم- ، وجزاهم الله خير الجزاء عنى وعن كتابه الكريم .

وأهدى هذا الكتاب وهذا الثناء العطر لأستاذى ووالدى الحنون الأستاذ الدكتور (عبد العظيم المطعنى) - رحمه الله- هذا الإسم الغالى والحبيب الذى صال وجال فى كل ميادين البحث فى القرآن الكريم إظهاراً لجماله وإعجازه وإبهاره ودفاعاً عنه ضد مطاعن المغرضين من أبناء الإسلام ومن أعدائه . وقد كان شديدَ الحب لى ويعتبرنى إبناً له -وهو شرف لى كبير- وكنت أبادله ذلك الحب . وكان - رحمه الله- فى شوق شديد لإصدار هذا الكتاب ليقوم سيادته بالتقدمة له - كما قدم لى فى سلسلة مقارنة الأديان ، ورد الشبهات ، وسلسلة الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن - ولكن عاجلته المنية واختاره الله إلى جواره ، وهو عالم جليل زاهد وفارس مغوار لايخشى فى الله لومة لائم (رحمه الله رحمة واسعة) ، وأدعوا الله أن يكون هذا العمل أيضاً فى ميزان حسناته من إبنه المحب له والمعترف بجميله .

دكتور/ سامح القلينى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

أحمد الله تعالى على أن منّ علينا بهذه النعمة العظمى فى رحاب القرآن الكريم. وأن يكون الكتاب فى أيدى وثقة أساتذتنا وعلمائنا الكرام من أهل القرآن وعلومه وأساتذة التفسير والبلاغة والحديث وطلبة معاهد علوم القرآن والقراءات.

ومن فضل الله علينا أن تنفذ الطبعة الثالثة فى غضون شهور معدودات عشنا خلالها مع مقتطفات من هذا الكتاب على القنوات الفضائية وبين قاعات التدريس مع إخواننا الدارسين والدارسات فى المعاهد المختلفة لعلوم القرآن والقراءات.

فلله الحمد فى الأولى والآخرة.

وكان السؤال المكرر دائماً هو : كيف كان هذا الإعجاز المبهر على يد النبى ﷺ النبى الأمىّ الذى لا يعرف القراءة والكتابة؟ ثم ما موقف علماء الأمة من هذا الرسم العثمانى بين أيدينا؟.

وهنا أقف وقفة وأضيف إلى ما سبق شرحه وتوضيحه فى الطبعات السابقة، ما ذكره ونقله أئمتنا وعلماؤنا. وتكون البداية من كتابة (المدخل لدراسة القرآن الكريم) وتحت عنوان رسم المصحف توقيفى أم اصطلاحى يقول الدكتور/محمد أبو شهبة: ذهب جمهور العلماء إلى أن رسم المصحف العثمان توقيفى (على النبى ﷺ من الله) لا تجوز مخالفته واستدلوا بما يأتى:

١- أن القرآ، الكريم كُتب كله بين يدى رسول الله ﷺ وكان يملى على كاتب الوحى، ويرشدهم فى كتابته بوحى من جبريل عليه السلام، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية (ألق الدواة وحرّف القلم وانصب الباء ، وفرّق السين، ولا تعور الميم ....) هذا إلى إقرار ﷺ الكُتَّاب على جميع ما كتبوه، وتقريره ﷺ هو أحد السنن المعروفة.

٢- إطباق القراء على إثبات الياء فى (وَٱخۡشَوۡنِ) فى البقرة ١٥٠ وحذفها فى الموضعين فى المائدة (٣ ، ٤٤). وغير ذلك مما خولف بين نظائر مختلفة

بالحذف والإثبات والزيادة والنقصان كما ذكرنا آنفاً. فلو كان الرسم بالاجتهاد لما خولف فيه بين هذه النظائر والمتشابهات.

ولعل قائلاً يقول: لعل هذا من تعدد كُتَّاب الوحى ، فإنهم لم يكونوا سواء فى الحذق بالهجاء فمن ثم نشأ هذا الاختلاف.

والجواب : لو كان الأمر على ما يزعم هذا القائل لناقش بعضهم بعضاً فى هذا. ولا سيما الأمر يتعلق بالأصل الأول للإسلام (القرآن)، وتوفر الدواعى لحرية الرأى فى هذا العصر (لكى يخالف من يريد المخالفة). ولكن لم ينقل إلينا أنهم تناقشوا فى هذا أو عاب بعضهم بعضًا كتابته على هذا الاحتمال وهو بعيد غاية البعد ويضرب مثالاً فى قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ الحاقة (الآية ١٩/٢٠) بالرسم العثمانى. فقد كتبت (كِتَـٰبِيَه) بغير ألف ، وكتبت (حِسَابِيَه) بألف والكلمتان سواء!!

٣- لما جاور الرسول ﷺ الرفيق الأعلى ، وجمع القرآن فى الصحف والمصاحف أجمع الصحابة على رسمه ولا سيما الخلفاء الراشدون **ولم يخالف فى ذلك أحد، وإجماعهم حجّة**. وقد حثّ الرسول ﷺ على الاقتداء بالخليفتين من بعده فقال (اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر) أخرجه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة وقال: حديث حسن صحيح. وقد أقرّ هذا الرسم الخلفاء الراشدون، ومن ورائهم الصحابة فكان لزامًا على الأمة الإسلامية من بعدهم أن يقتدوا بهم، ويتمسكوا برسم المصحف ولا يحيدوا عنه. وقد قال ابن مسعود ﷺ: من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم، فمن ثم ذهب جمهور الأئمة إلى التزام هذا الرسم، ثم ذكر رأى الأئمة الأربعة الذى نقلناه سابقًا بحرمة كتابة المصحف بغير الرسم العثمانى.

ثم يتعرض لأمر أمية النبى ﷺ وتحت عنوان : هل صار النبى ﷺ قارئًا كاتبًا يقول:اتفق العلماء قاطبة على أن النبى ﷺ حين بعث إلى الناس قاطبة لم يكن قارئًا ولا كاتبًا (بداية الوحى) ..... إلى أن قال: أما بعد أن قامت حجته،

وعلت كلمته وعجزت العرب عن أن يأتوا بأقصر سورة منه، ولم يعد للريب والظنون موضع فقد كانت (أميّته) محل بحث ونظر فمن العلماء من قال: إنه تعلم القراءة والكتابة. ومنهم من منع وقال: إنه استمر على أميته. وقد بسط القول فى هذا الإمام الألوسى: .... إلى أن قال: ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافى المعجزة، بل هى معجزة أخرى لكونها من غير تعليم (أى علمّه جبريل)... إلى أن قال: ثم قال الآلوسى فى تفنيد هذه الردود ما نصه: ولا يخفى أن قوله ﷺ الذى يستندون به على أميّة النبى ﷺ (إنّا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب) ليس نصًا فى استمرار نفى الكتابة عنه ﷺ... وغير ذلك من المناقشات التى يراجعها القارئ فى تفسير الإمام الألوسى. تفسير الألوسى ٢١، ص ٤ ، ٥ وفتح البارى ح ٧ ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦.

إلى أن قال: الذى يترجح عندى أنه ﷺ تعلم الكتابة بعد أن لم يكن يعلمها وكفى فى هذا دليلاً حديث البخارى. ومستبعد جداً من قبل رسول الله – فى ذكائه وفطنته ومكانته – أن لا يتعلم الكتابة بعد طول إملاء القرآن على الكاتبين ورؤيته لهم وهم يكتبون، على أنه من الممكن جدًا أن يكون الله سبحانه وتعالى علم نبيّه القراءة والكتابة كما علّمه غيرها – مما لم يكن يعلم بطريق وهبى من غير ضرورة إلى تعلم أو كسب، وأيًا كان الأمر فلا تنافى بين كونه ﷺ ، بعث وهو أمىّ وكون الرسم توقيفيًا (عن رب العزة): لأنه إن كان تعلم الكتابة فالأمر ظاهر، وإن لم يكن تعلمها فيكون تلقينه وإرشاده الكاتبين إلى طريقة **كتابته بتلقين من جبريل ووحى منه.**

وينقل العلاّمة الشيخ/محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية من كتابه (الكلمات الحسان فى الحروف السبعة وجمع القرآن) تحقيق الدكتور/على النحاس – محقق الكتاب ص ٨١ : .... فإن رسم المصحف صادر بأمر النبى ﷺ وإقراره ﷺ لكتَاب الوحى من الصحابة أن يكتبوه على الهيئة المذكورة ثم ذكر حديثه لمعاوية... إلى أن قال: وحينما جمعه أبو بكر فى صحائفه ما زاد ولا نقص الكاتبون شيئًا، وكذلك حين جمعه عثمان لم يزيدوا شيئًا **ولم ينقصوا شيئًا بل رسموه كما كان مرسومًا مكتوبًا بين يديه ﷺ** ... إلى أن قال: وهكذا **فإذا نظرت إلى مثل هذه الدقائق جزمت أن الرسم توقيفى وأنه ليس مجرد اصطلاح لهم. وأن الصحابة كانوا أعلم الناس بعلم الرسم وصناعة الكتابة. وأن من قال بخلاف ذلك فقد أخطأ**

وإن علا كعبه فى العلم. على أنه سيأتى عن أبى بكر نفسه والنبوى ما يقتضى أن رسم المصحف توقيفى عن النبى ﷺ لا باصطلاح الصحابة وأن النبى ﷺ هو الذى كان يأمر بكتابته على الهيئة التى عليها المصاحف العثمانية، وكان يقرهم على ذلك.

وكون رسم المصحف توقيفيًا هو مذهب الأئمة الأربعة كما قاله الجعبرى فى شرح العقيلة، ولم يجوزوا كتابة المصحف على خلاف الرسم العثمانى. ومن جوّز ذلك لم يقل: أن رسم المصحف كان باصطلاح الصحابة (رضى الله عنهم). بل إنما أجاز كتابته بالرسم المحدث على خلاف الرسم العثمانى لأنه يفيد الغرض المقصود (التعليم).

ثم يقول : ولا يقال إن النبى ﷺ كان لا يعرف الكتّابة كما وصفه الله تعالى بقوله (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا) العنكبوت ٤٨. **لأنا نقول أنه ﷺ ما كان يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس، وأما من جهة الوحى فكان يأمر بكتابة القرآن ورسمه كما يعلمه جبريل. ومع ذلك فلا نزاع فى تقريره ﷺ على رسمه، وتقريره على ذلك كاف فى ثبوت أن الرسم توقيفى.** وعلى ذلك يبطل ما قاله ابن خلدون (الذى سنعيش معه فى داخل الكتاب) فى مقدمته وغيره، مما يقتضى – حسب زعمه – أن رسم المصحف كان باصطلاح الصحابة وأنهم كانوا حديثى عهد بالكتابة (كما سنناقشه فى باب الرأى الآخر) وما استدل به على ذلك من مثل زيادة الياء فى (بِأَييْدٍ) من قوله (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَييْد) الذاريات (٤٧). فقد بنى استدلاله به على أنه يلزم موافقة صورة الرسم لصورة النطق باللفظ، وذلك ليس بلازم فإن داود يُكتب بواو واحدة والنطق بواوين.

ونكتفى بهذه النقول لنعيش على أرض الواقع مصداق كل ما قيل وأكثر مما قيل مع الرحلة الجميلة والممتعة مع الجلال والجمال فى رسم الكلمة فى القرآن الكريم وعلاقته بالجرس والنظم.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد والهداية والتقى وأن ينفعنا وينفع بنا. آمين.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ يونس

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد

فقد كان من فضل الله عليّ أن منحنى شرف الصحبة والتأمل فى كتاب الله عز وجل، وأن أعيش معه أحلى وأمتع الأوقات التى شغلتنى عن كل شيء فى حياتى حتى عن ذاتى، فالحياة فى ظل القرآن الكريم – كما يقولها بحق الشهيد سيد قطب– نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها . نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله.. لقد منَّ الله على بالحياة فى ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط فى حياتى.

عشت مع القرآن الكريم نفسه ومن خلال كتب التفسير والبلاغة والبيان، وحاولت بعد ذلك أن أتأمله بعيداً عن التعقيدات النحوية التى تحاول أن تخضع النص القرآنى إلى كثير من المصطلحات النحوية دون النظر إلى النظم القرآنى المحكم ، وبعيداً عن رحمة وتخمة الآراء الفقهية والاختلافات الطائفية والمذهبية، عائداً إلى النص القرآنى نفسه لأعيد تذوقه من جديد – بعد أن تزودت بهذا الكم من المعارف حتى لا أضِل أوأُضَل– فوجدت الحقبقة كما يقول الإمام الشهيد "سيد قطب" رحمه الله (فى التصوير الفنى للقرآن):

تلك أيام.[1] . ولقد مضت بذكرياتها الحلوة ، وبخيالاتها الساذجة. ثم تلتها أيام، ودخلتُ المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن فى كتب التفسير، وسمعت تفسيره من الأساتذة، ولكننى لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك **القرآن اللذيذ الجميل** الذى كنت أجده فى الطفولة والصبا.

واأسفاه! لقد طمست كل معالم الجمال فيه، وخلا من اللذة والتشوق. ترى هما قرآنان؟ قرآن الطفولة العذب الميسرالمشوّق، وقرآن الشباب العسر المعقد الممزق ؟ أم إنها جناية الطريقة المتبعة فى التفسير؟

وعدت إلى القرآن أقرؤه فى المصحف لا فى كتب التفسير. وعدت أجد قرآنى الحبيب، وأجد صورى المشوقة اللذيذة. ..... إلى أن قال: **الحمد لله. لقد وجدت القرآن!!**

(١)– أيام الطفولة والصبا الى كان يتذوق فيها القرآن مباشرة من نصه وتصويره مدفوعاً بنداء الفطرة–

وفى صفحة أخرى يشرح لنا منهج التفاسير فيقول: ثم أخذ التفسير ينمو ويتضخم ابتداءً من أواخر القرن الثانى، ولكن بدلاً من أن يبحث **عن الجمال الفنى فى القرآن أخذ يغرق فى مباحث فقهية وجدلية، ونحوية وصرفية، وخلقية وفلسفية، وتاريخية وأسطورية. وبذلك ضاعت الفرصة التى كانت مهيأةً للمفسرين لرسم صورة واضحة للجمال الفنى فى القرآن.**

وأقسم بالله أننى مامن مرة أقرأ فيها هذا الكلام للإمام الشهيد إلا وتنتابنى نوبة من البكاء وارتجاف القلب، وأنا أشعر بصدق هذا الإمام العظيم، وأتذوق كل كلمة قالها وأعيشها واقعاً فى حياتى. وهى كلمات خارجة من قلب مفعم بالحب للقرآن من عالم حبيب ومفسر جليل، مسترجعاً أيام الفطرة ، وتذوقه أيام الصبا، للتصوير الجميل فى قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾الحج. وكان يأمل أن يعيش هذا الجمال التصويرى فى كتابات علماء التفسير والبيان ، ولكنه لم يجده، وأخذ هو يبحث عنه ويمتعنا به — رحمه الله-.

وشاء الله أن لا يحرمنى من زاد القرآن الكريم، وكنت قد جمعت هذا الكتاب فى زحمة البحث البلاغى والصوتى للكلمة القرآنية فى نظمها الفريد(كلؤلؤة فى النحر) وفى أبحاث كثيرة منها(سلسلة الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم ، وجرس الكلمة فى القرآن الكريم) وغيرها، فكان هذا البحث فى رسم المصحف فى طريق هذا البحث البلاغى وعلى منهجه ومرتبط به وبقواعده. وأخذت أكتب خواطراً وأفكاراً أمر عليها ، وما كنت أحسب أن أقف على هذا الكم الهائل من الإعجاز والإبهار فى رسم الكلمة ، أو أن يكون مرجعاً بهذا الحجم وهذا التنظيم ، ولكنها إرادة الله الذى اصطفانى لهذا العمل وله وحده الفضل والمنة.

وما أن خرجت الطبعة الأولى إلا ووجدت- بفضل الله- الإقبال عليها شديداً، والتعقيبات عليها مفرحة ، وأحمد الله تعالى على أن صادفها التوفيق ، وقوبلت من جميع الأوساط الدينية(من أساتذتى علماء البلاغة والبيان الذين يشار إليهم بالبنان، أو أساتذة علم القراءات أو علم الصوتيات) مقابلة طيبة، وكان أكثر مما كنت أطلبه أن تنال هذه الطبعة المكانة العالية والغالية عند أساتذتى وتاج رأسى ورؤس الأمة الإسلامية ، وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ الدكتور "أحمد عيسى المعصراوى" شيخ عموم المقارئ المصرية

والأستاذ بالأزهر الشريف، وهو غنيٌّ عن البيان والتعريف، حيث طلب مقابلتي وأصر على أن تكون التقدمة لهذا الكتاب باسم (مشيخة عموم المقارئ المصرية) مُزيّنة أيضاً بتوقيعـــه الكريم.

ومن هؤلاء الأعلام أستاذنا الكبير العلامة الأستاذ الدكتور امين الخضرى أستاذ البلاغة والنقد، وصاحب المكتبة البلاغية العظيمة، الذى كان من أول الذين دفّوا إلىّ البشرى بأن هذا الكتاب سيكون عمود المكتبة القرآنية.

وأستاذنا الدكتور حسن طبل أستاذ البلاغة والنقد أيضاً وصاحب الذوق البيانى الرفيع فى كتاباته وأبحاثه العظيمة، وغيرهم ممن أشرف بهم.

وقد كانوا زاداً لى على الطريق ، مما جعلنى أعيد البحث وأعمقه مستعيناً بـــالله تعـــالى ومعتكفاً على كتابه الكريم وما كتبه خيار علماء الأمة الكرام، وخاصة بعد أن علمت أن أساتذتى الأفاضل قد وضعوا هذا الكتاب فى مكتبات كليات علوم القـــرآن وكليـــات الدعوة، وأخذوا يشيرون لطلبتهم ودارسى علوم القرآن والقراءات باقتناء ودراسة هـــذا الكتاب، فكان ذلك تشريفاً لى وتكليفاً جعلنى لا أنام الليل موصولاً بالنهار فى مراجعـــة هذا الكتاب من أوله إلى آخره وإعادة تبويبه وتنظيمه وإضافة مئات الصفحات فى أبوابٍ متفرقة أسأل الله أن ينفعنى بها وينفع إخواننا المسلمين من العامة والدارسين.

ونفدت هذه الطبعة الثانية –بفضل الله تعالى- فى خلال شهرٍ ونصفٍ فقـــط، وكـــان النصيب الأكبر من المقتنين له هم إخواننا وأخواتنا طلبة وطالباتُ معاهدٍ علـــوم القـــرآن والقراءات، الذين أشرف بدعوتهم لى فى إلقاء الدروس والمحاضرات معهـــم فى معاهـــد متعددة فى ذات البحث.

ورغم هذه الثقة التى أحمد الله تعالى عليها ، أجدنى فى كل مرة أعيد فيهـــا الفحـــص والمراجعة يظهر الله لى ما لاكنت أتخيله من ألوان الجمال والجلال فى رسم الكلمة وعلاقة الرسم بجرس الكلمة والنظم القرآنى الذى تسكن فيه هذه الكلمة، ودائماً أجد نفسى أنى ما زلت أقف على شاطئ البحر و لم أغص فى داخله بعد ، ويظهر لى كثير مما لم أقع عليه فى الطبعات السابقة، حتى تعدى الكتاب فى طبعته الثالثة أكثر من ألف صفحة فى مجلدين؛ على أن يكون المجلد الثالث فى (جرس الكلمة فى القرآن الكريم) الذى كنا قد وعدنا به فى

الطبعات السابقة، ونسأل الله العون والتوفيق ،وصد ق الأستاذ(صادق الرافعى) حيث يقول(فكل معنى ولا جرم من بحر، وكل لفظ كلؤلؤة فى النحر.. إذ هو كتاب السماء إلى الأرض مُستقراً ومستودعاً،.. وما من عصرٍ إلّا وهو مقلب صفحة من صفحات الإعجاز، حتى لتنتهى الدنيا عند خاتمته فإذا هى خلاءٌ من ((الجنة والناس)).

وصدق العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز (فى النبأ العظيم) فى توجيهه الحكيم وبأسلوبه الخلاب حيث يقول:

وخذ نفسك أنت بالغوص فى طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح(٢) **فإن عُمِّىَ عليك وجه الحكمة فى كلمة منها أو حرف ، فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون ، و لكن قل قولا سديدا هو أدنى إلى الأمانة و الإنصاف . قل** : (**الله أعلم بأسرار كلامه ولا علم لنا إلا بتعليمه**). **ثم إياك أن تركن إلى راحة اليأس فتقعد عن إستجلاء تلك الأسرار قائلاً : أين أنا من فلان و فلان ؟ : كلا ، فرب صغيرٍ مفضول قد فطن إلى ما لم يفطن له الكبير الفاضل** . ألا ترى إلى قصة إبن عمر فى الأحجية المشهورة ؟(لم يفطن لمعناها الصحابة وفطن إليها ابن عباس- وهو طفل صغير-) **فجدَّ فى الطلب و قل** : رب زدنى علما ، **فعسى الله أن يفتح لك بابا من الفهم تكشف به شيئا مما عُمِّىَ على غيرك . والله ولى الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** .

(والله ما أعظمها من كلمات يسوقها هذا العالم الجليل بهذا الأسلوب البيانى العظيم الذى يرن على أوتار القلب) .

وهاهو يكمل فى بيان ساحرٍ وخلاب قوله عن القرآن العظيم:... **كأنك لا تسمع كلاماً و لغات بل ترى صوراً وحقائقَ ماثلة . وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خُبْرا ووقفت على معنى له محدودا : هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد ، غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة . و كذلك : حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدةً ، كلها صحيح أو محتمل الصحة ، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان**

---

(٢)(البحث بعين بعيدة عن التعصب والهوى، ومدركة أن أهل الصنعة عجزوا عن القيا م لتحديه أو مجاراته فى أسلوبه وبيانه)

الطيف كلها ، فلا تدرى ماذا تأخذ عينك و ماذا تدع . ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك لرأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل محيط مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال).

فهذه هي الحقيقة التي لا ينكرها إلا جاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر كتاب ربه.

ومن دواعى السعادة البالغة والإحساس الغامر بفضل الله تعالى وكرمه لى، وأن يد الله تعالى تنقلنى فى كل خطواتى وتحنو علىّ وأنا العبد المقصر فى حقه وطاعته، أن يقيِّض لى نعماً كثيرة منحها لى **فى هذه الطبعة الثالثة** ومنها:

١- أن قام الكثير من أساتذتى -الذين أشرف بهم- بالاتصال بى والشد على ساعدى ومنهم الأستاذ الدكتور القصبى محمود زلط : نائب رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية الذى أصر على تشريفى بتقدمته لهذا الكتاب، جزاه الله خير الجزاء، وغيره من الأساتذة الذين أشاروا على الكتاب بالثناء فى القنوات الفضائية ومنهم الاستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية.

٢- دعوة أساتذتى الفضلاء الأجلاء بالمعاهد الدينية لعلوم القرآن والقراءات لى للمحاضرة فى هذا الموضوع ، ومن هؤلاء الذين لا أنسى كرمهم وتواضعهم وتقواهم وحبهم لكتاب الله تعالى الأستاذ الدكتور مصطفى الندوى أستاذ الحديث وعلومه وعميد هذا المعهد المبارك بالمحلة الكبرى، ويشاركه فى هذا الفضل والكرم والخلق الرفيع الأستاذ الدكتور بشير أحمد دعبس: أستاذ القراءات وعلوم القرآن فى كلية القرآن الكريم جامعة الأزهر الشريف بطنطا وعضو لجنة مراجعة المصحف الشريف بمجمع البحوث الإسلامية، وأعطونى الوقت الكافى لألتقى بإخوانى وأخواتى الدارسين والدارسات -بهذا المعهد العامر بالمئات من الأفاضل والفضليات الذين تشرف عليهم هذه القلوب الطاهرة النقية- وأحاضرهم، وأشهد الله تعالى أن المحاضرة كانت تتعدى الأربع ساعات ما أشعر فيها بالملل أو الكلل، وكنت أشعر بعدها أننى أخرج من الجنة وأنا أودعهم بعد انتهاء هذه المحاضرات، أدعوا الله أن يرفع قدر أساتذتنا هؤلاء وأن يجعله فى ميزان حسناتهم

٣- ومن هؤلاء الذين أسعدتنى مكالمتهم لى واستعجالهم للطبعة الثالثة لينفع بها طلبة العلم الذين يتشرف فضيلته بتعليمهم القرآن الكريم وأحكامه أستاذنا الفاضل الشيخ (أحمد

عامر) هذه الفاكهة المحبوبة- على القنوات الفضائية- التى تخترق قلوب المسلمين فى كل مكان من الذين يطل عليهم بطلعته البهية المشرقة بنور العلم والإيمان، وله المعزَّة الكبرى فى قلوب المسلمين بصفة عامة وقلبى أنا بصفة خاصة، فقد تذوقت حلاوة التجويد والترتيل فى شبابى على يديه فى إذاعة القرآن الكريم ، ونلتف حوله بأهلى وأولادى على شاشات القنوات الفضائية، فكم من قلوب متحجرة أو نافرة أخذ بها إلى القرآن الكريم والاستمتاع به بعيداً عن تعقيدات إخواننا علماء التجويد الآخرين .. إنه هو فضيلة الشيخ الأستاذ أحمد عامر الذى سعدت بمكالمته لى وشده على يدى وأنا أذهب بالكتاب للمطبعة، جزاه الله خيرا.

٤- ثم نأتى للسعادة العظيمة الأخرى التى جعلتها فى نهاية المطاف لأن لها أهمية مباشرة فى صميم بحثنا هذا ألا وهى:أن يقيض الله لنا المحقق العلامة **الدكتور على النحاس** صاحب المكتبة القرآنية المشهورة فى علم القراءات،[٣]والجامع للقراءات العشر الكبرى والصغرى، ليقوم بمراجعة الكتاب وتحقيقه، متطوعاً ابتغاء مرضاة الله تعالى، وخدمة لكتابه الكريم، وغيرة على حرمه وجنابه، وحرصاً على وحدة الأمة بعلمائها من هؤلاء الذين لا ينقصهم حسن النية ولكن ينقصهم الوعى الشامل والإدراك العميق والعلم الكافى، ويشهد الله تعالى أنى لا أشك لحظة واحدة فى إخلاص هذا العالم الفاضل الذى وجدت فى صحبته التقى والورع والحب الشديد لكتاب الله تعالى ، وأحسبه عند الله من المقبولين ولا أذكى على الله أحدا.

وهذا العالم الكبير دعانى بترحيب وكرمٍ منه شديد ، وذهبت له — كعالم للقراءات ومن أعلام هذا الفن والتخصص الذى لا يخوض فيه إلا من هم أدرى بمساربه- حاملاً الكثير من الأسئلة التى تجول فى عقول وقلوب كل أحبابنا من العامة والدارسين ، وخاصة لعلم القراءات، وكانت بحق أسئلةً حرجةً؛ بل من أحرج الأسئلة التى كنت أشعر بها وهى

---

(٣)(له مؤلفات كثيرة منها: هذا المجلد الفخم (مصحف القراءات العشر المتواترة) على الأوجه الراجحة المعتبرة، (ومن مؤلفاته العظيمة: (١) الرسالة الغراء فى الأوجه الراجحة فى الآداء (٢) الرسالة فى الوقف على "كلا"و"بلى" وبعض الكلمات (٣) توضيح المعالم لطرق حفص عن عاصم (٤)تعريف بالقثراءات العشر وأصول القراءات العشر (٥)مقدمة فى علوم القراءات (٦) فيض الآلاء فى الأوجه المقدمة لورش والآداء (٧) الرد على منع قراءة حمزة والكسائى (٨) تحقيق مصحف القراءات العشر (٩) إظهار الحق من الكتاب المقدس، . وقالوا عنه:أنه **(ألبانىّ هذا العصر) كما وصفه أحد علماء هذا العلم الغزير.. ومن فضل الله علينا أن يقوم فضيلته بمراجعة هذا العمل.**

تطرح عليّ من الإخوة الدارسين ، والتى يحتاج إليها كل باحث عن البلاغة والبيان فى النظم القرآنى ، وكل جامع للقراءات القرآنية، وكانت هذه الإسئلة والتساؤلات دفينة فى القلوب تظهر – إن ظهرت – على استحياء خوف التكفير من أدعياء العلم – كما حدث وفعلوها مع الأئمة الأعلام فى علم البلاغة والبيان والتفسير ونسبوا إليهم- زوراً وبهتاناً وجهلاً وضلالاً-الكفر والتفسيق.

ولذلك كانت خطورة هذا البحث الذى هو بعنوان (وقفة لابد منها بين يدى البحث وأسئلة وتساؤلات حول الرسم والقراءات) وهو مايقرب من المائة صفحة – متضمناً بحثاً آخر متمماً للجمال والجلال بعنوان (بعض الأمثلة عن جمال وكمال الكلمة القرآنية)-..

وشكر الله تعالى لعالمنا الجليل د: على النحاس. فما كان لى أن أكمل هذا البحث إلا بفضل الله تعالى ثم بعون ومساعدة وبحث وإخلاص هذا العالم الفاضل، الذى كنت أشعر بأنه يعيش بقلبه ووجدانه فى هذا البحث مهموماً به مثلى ومثابراً عليه بحثاً وتحقيقاً وإرشاداً وتوجيهاً.

٥- فى هذه الطبعة الثالثة تم إعادة الكتاب من أوله إلى آخره مع الإضافات التى منّ الله علينا بها ، ولا يخلو باب منه إلا وقد تم عمل تعديلات وإضافات متنوعة يتطلبها البحث، وكان القسط الأكبر فى هذه الزيادات فى باب:الرد على شبهة(إن فى القرآن لحناً) وباب(الفصل والوصل) و(قبض التاء وبسطها – والنعمة السلبية والإيجابية- وكيف فرّق الرسم بينهما بإعجاز مبهر) وباب كامل فى مقدمة الجزء الثانى يقرب من المائة صفحة لبيان أسرار (حذف الألف وإثباتها- الذى لم يوجد له أثر فى كتابات السابقين أو المحدثين) وتم إضافة أبواب كاملة سيعيشها القارىء فى داخل البحث، وندعوا الله تعالى أن يكون قد جنبنا الخطأ والخطل والزلل آمين، وما كان من خطأ فمن نفسى ومن الشيطان ، وما كان من صواب فمن الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور/ سامح عبد الفتاح القلينى

تم الانتهاء من الطبعة الثالثة فى ٢٧ رجب ١٤٣١ الموافق ٩ يوليو ٢٠١٠



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بعد نفاد الطبعة الأولى فى شهور معدودات لا أملك إلا أن أحمد لله تعالى، فهو وحده صاحب الفضل والمنة ، على أن وفقنى لإصدار هذا البحث المتواضع الذى يبحث فى أغلى وأعز مايملكه المؤمن ، وهو الكتاب الذى أنزله الله عز وجل ليكون المعجزة لنبيه محمد(ﷺ) ليتحدى به الإنس والجن {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} (٨٨) سورة الإسراء. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.البقرة) وكما يقول د. دراز.رحمه الله: (فانظر هذا النفى المؤكد، بل الحكم المؤبد، هل يستطيع عربى يدرى ما يقول أن يصدر هذا الحكم وهو يعلم أن مجال المساجلات بين العرب مفتوح على مصراعيه؟... ألم يخشى بهذا التحدى أن يثير حميتهم الأدبية فيهبوا لمنافسته، وهم جميع حذرون...؟ إنّ هذه مغامرة لايتقدم إليها رجل يعرف قدر نفسه إلا وهو مالىء يديه من تصاريف القضاء وخبر السماء. وهكذا رماها(صيغة هذا التحدى) بين أظهر العالم، فكانت هى القضاء المبرم، سلط على العقول والأفواه، فلم يهم بمعارضته أحد إلا باء بالعجز الواضح والفشل الفاضح على مر العصور والدهور.. هذا هو القرآن الكريم.

وقد أكرم الله نبيه محمداً بمعجزات مادية وكونية كثيرة فاقت جميع معجزات الأنبياء السابقين مجتمعة ، وهى أكثر مما رواه الإنجيليون عن نبيهم ، وهى أصدق فى النقل وأبعد عن التأويل ، ورغم ذلك لم يجعل ربنا تبارك وتعالى هذه المعجزات المادية برهاناً على صحة الدين ولا أمر (محمداً) بتلقينها لأتباعه، ولم يكفّر منكرها- بخلاف القرآن الكريم-، وقال{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٥١) سورة العنكبوت وذلك لأن الله تعالى جعل نبوة محمد(ﷺ) ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها لأن البشر ببعثة محمد(ﷺ) بدءوا يدخلون فى سن الرشد العقلى والاستقلال النوعى ، ولم تعد تبهرهم هذه المعجزات المادية التى ربما تختلط لديهم بالسحر والشعوذة- وهاهو الساحر "كوبر فيلد"وغيره نراه على شاشات التلفاز يفعل أعاجيب ولم يتبعه

أحد أو يصدق به كإمام له – وهو عين ماقاله الأقدمون لموسى عليه السلام {وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ } (٤٩) سورة الزخرف. وقالوا عن عيسى عليه السلام – بعد إحياء الموتى وغيرها من المعجزات– أنه "بعلزبول"– أى كبير الشياطين–.

ولذلك جعل ربنا تبارك وتعالى حجة نبوة خاتم النبيين هى عين موضوع نبوته (القرآن الكريم)– فعصى موسى ، وهكذا باقى المعجزات على يد أنبياء الله السابقين لم يعد لها وجود بعد وفاتهم ، ولم يبق إلا معجزة محمد(ﷺ) هى الباقية تتحداهم جميعاً أن يأتوا بمثله ، وقالها النبى (ﷺ) (مامن نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ، وأرجوا أن أكثرهم تابعاً يوم القيامة) وصدق رسول الله(ﷺ) متفق عليه

وأكرر الحمد لصاحب الفضل والمنة على أن أولانى هذا الشرف العظيم الذى لاأستحقه– وهو البحث فى كتابه–{قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (٥٨) سورة يونس

وقد قمت – فى الطبعة الثانية– بعمل بعض التعديلات وإضافة بعض الإضافات التى يتطلبها هذا البحث– سوف يلمسها القارىء–، وكما نرددها دائماً أنه لايمكن أن يدعى أحد الكمال فى أى بحث يبحثه فى كتاب الله تعالى (وخاصة هذا البحث الذى يقول دائماً هل من مزيد) ، بل هو الشعور بالعجز الكامل على أن يحيط بكتابه علماً كما لم نحيط بذاته علماً– وهو الإحساس العميق بأنه بحر زاخر لاتنقضى عجائبه ، نسأل الله التوفيق والسدا.

ولاننسى الشكر لأساتذتنا الكرام وقرائنا الأعزاء ، وعلى أن يكون موعدنا مع إصدارات أخرى فى الأيام القادمة مع تكملة المشوار فى نواحى الإعجاز الأخرى ومنها (سلسلة الإعجاز القصصى والتكرار فى القرآن الكريم) و(أسلوب الالتفات فى القرآن الكريم) و(دعوى التحريف والتناقض فى القرآن الكريم بين الوهم والحقيقة) والرد على شبهات الطاعنين حول القرآن ومنها (آية السيف وقضية الناسخ والمنسوخ مالها وماعليها) وسلسلة (بل أولئك هم الظالمون). نسأل الله تعالى التوفيق والسداد ونسألكم الدعوات الخالصة، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

دكتور/ سامح القلينى

المقدمة

الحمد لله موصولا كما أمرا ....مباركا طيباً يستنزل الدِّررا

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن موضوع البحث فى وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم ليس بالأمر الهين ، والحديث فى خصوصيات رسم الكلمة فى القرآن الكريم بصفة خاصة يحتاج إلى بحث عميق وتدبر طويل وإلى استرجاع لما قاله علماء البلاغة و علماء التفسير و علماء علم القراءات وعلماء علم الصوتيات ، وغيرها من باقى أصناف العلوم التى سنعيش معها من خلال بحثنا هذا.

والدراسات التى سبقت هذا الكتاب تعتبر نظرات جزئية لاتتناول إلا أمثلة محدودة لاتعطى تفسيراً شاملاً لهذه الظاهرة الخطيرة ، ولذلك قررت أن أخوض في هذه المشكلة بكل تفاصيلها بعقل فارغ من أى تعصب ، وغير مدفوع بعقيدة تسيطر على البحث أو توجه التأويل سوى البحث عن الحقيقة.. بل إننى دخلتُ البحث من جهة الشك لأصل إلى الحقيقة المجردة حتى وصلت إلى وجه الحق واليقين الذى سيراه القارئ عملياً وعلى أرض الواقع بالبرهان والدليل الساطع،الذى ينادى بالمعجزة العليا حتى فى رسم الكلمة فى هذا الكتاب المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. (كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ). ووجدت الصدق الكامل لحديث الرسول الحبيب (ﷺ) فى قوله الشريف عن هذا الكتاب الخالد (لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه...).

والبحث فى هذا الكتاب العظيم له متعة عقلية وروحية لايعرفها إلا من تذوقها، فضلاً عن أنه من أجَل العبادات وأمتعها، ومن ذاق عرف .. *ومن عرف بلغ*......!

والبحث فى القرآن الكريم هو (إمتاع للعقل وإشباع للعاطفة)، شأنه شأن كل الأبحاث التى تبحث فيه دائماً – وإن كان هذا البحث من أمتعها وهو بحث جديد وله

جذور عميقة أيضاً - كما سنرى- وأتمنى أن يكون كذلك عندك أيها القارئ وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى .

ومما يزيد هذه المتعة إمتاعاً أنها إضافة جديدة لكتاباتي الأخرى عن ألوان أخرى مختلفة من الإعجاز فيه ما فيه من هذه المتع الروحية والعقلية وهو (الإعجاز القصصي والتكرار فى القرآن الكريم ..ولماذا التكرار فى القرآن الكريم؟) ،وقد عشت فيه ومعه أمتع أوقات حياتي، مضيفاً إليه إعجاز القرآن فى اختيار الكلمة بحروفها التى تصور المعنى كاملاً وترسم المشاهد بصوت الكلمة وصوت حروفها،كأنها لوحة فنية بديعه، وهو ما نسميه (جرس الكلمة فى القرآن) - والذى سنعيش مع طرف منه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى - وفيه نرى كيف يرسم جرس (صوت) الكلمة المشاهدَ الحية والمتحركة والنابضة بالحياة بحروف هذه الكلمة المختارة بالدقة البالغة والمدهشة فى القرآن الكريم -المعجزة الخالدة التى لا يشبع منها العلماء ولا تنقضى عجائبه.

ومن الجمال فى هذا البحث والأبحاث الأخرى فى القرآن الكريم أن يكون اعتمادنا بالصفة الأساسية على النص القرآنى نفسه بالدرجة الأولى، مستصحباً معه آراء أعظم المفسرين وعلماء البلاغة وعلماء علم القراءات ،وقد تحريت على قدر الإمكان أن يكتب هذا البحث بطريقة سهلة وميسرة،وبلغة بسيطة يفهمها القارئ البسيط أيضاً والذى ربما لا يستسيغ القراءة أو السماع لعلم النحو،أو علم القراءات،أو البلاغة العربية بصفة عامة والبلاغة القرآنية بصفة خاصة .

وقد تأخرت كثيراً فى طبع هذا البحث ، بل لقد قمت بإصدار كتب أخرى مثل كتب (مقارنة الأديان، الرد على الشبهات) كنت أعتبرها فى المرتبة الثانية فى مرتبة الأولويات، وكنت أنوى تأخيرها، وذلك لإحساسى بعظمة وهيبة وجلال الحديث فى هذا الكتاب المعجز - القرآن الكريم -، ولشعورى الدائم أننى كلما ظننت الانتهاء والإكمال لهذا البحث أو غيره، أجد أننى لم أوف هذا الموضوع قيد أنملة من حقه ، وأتيقن تماماً أننى مازلت مقصراً فى حقه ، وكلما ازددت ادعاءً بعلمى لبعض أسراره كلما ازددت إحساساً بجهلى وعجزى ، وأنه مازال هناك الكثير والكثير قبل نشره، وإحساسى ويقينى - أيضاً - أن هذا البحث لا يقوم به فرد واحد، بل ولا جيل واحد من الأجيال، ولكنه يحتاج إلى جهد أجيال متعاقبة ، ولن يوفوا أيضاً هذا الإعجاز حقه ، وسيظل إعجازه إلى أن تقوم الساعة، وصدق أستاذنا الدكتور (فاضل السامرائى) حيث يقول عن اللفظ القرآنى:

(...كل ذلك يضعه المولى وضعاً فنياً فى غاية الروعة والجمال. ثم هو يجمع بين ضروب القول المختلفة ويؤلف بينها فى حشد فنى عجيب لا يملك العارف بشئ من أسرار التركيب إلا أن يسجد لصاحب هذا الكلام إجلالاً وخشوعاً :(ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣)) الزمر.

لقد دُرس التعبير القرآنى دراسات مستفيضة ، وأُولِى من النظر ما لم ينله نص آخر فى الدنيا. فقد دُرِسَ من حيث تصويره الفنى فكان أجمل تصوير وأبرع لوحة فنية، ودرس من حيث نظمه وموسيقاه، فكان أروع عقد منظوم وأعذب قطعة فنية موسيقية، وهل يشك أحد فى فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه ، وعذوبة جرسه، وحسن اختيار ألفاظه ، وجمال وقع آياته؟!

عجيب أمر هذا الكتاب! يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوى معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخٍ فى علمه معجزاً.

لقد كشف لهم وهم يبحثون فى وجوه إعجازه عن بحار ليس لها ساحل، وغاصوا فى لجج ليس لها قعر، وكلٌّ عاد بلؤلؤة كريمة أو عقد نظيم ، وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر لم يلجها الوالجون، وكنوز لا يطيقها إحصاء، لم تمتد إليها الأيدى، تفنى الدنيا ولا تفنى، ويبلى كل جديد ولا تبلى، فيها من عجائب صنع الله ما لو اطلعت عليه لم تعرف كيف تصنع ، ولاستبد بك عجب لا ينتهى ، وتمكن منك انبهار لا ينقضى ، ومفتاح ذلك تدبره والنظر فيه ، فامنحه شيئاً من التدبر والنظر يمنحك من أسراره ما لم يكن منك ببال، إنه يعطيك أضعاف ما تعطيه.

إن هذا الكتاب يمنح من نظر فيه وتدبره خزائن بغير حساب ، ويفتح الله عليه من ألطافه ما يجل عن الوصف ، فلا تضيع هذه الصفقة الرابحة وإلا فأنت والله مغبون.

أأدركت الآن سر قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤)) ؟!

أما إنهم لو تدبروه لفُتحت أقفال القلوب، ولان ما كان عصياً من الأفئدة ، ولأوقدت مصابيح عهدها بالنور، وأشرقت دروب لم يسقط عليها فيما مضى نور، ولحَيَت نفوس ما عرفت قبل ذلك حياة.

أ لم يسمه الله نوراً؟ فقال: فى سورة النساء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾.

أو لم يسمه الله روحاً؟ فقال: فى سورة الشورى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.

فهو روح ونور، وهل بعد ذلك شئ، وهل قبله شئ؟ ليت شعرى هل يفقه الناس؟! ألا ليت الناس يفقهون .) انتهى من التعبير القرآنى.

وأعود وأكرر: إن البحث فى رسم المصحف الشريف قضية ليست ككثير من القضايا: فهى جلالة قدر ، وحرج مسلك ، وهيبة مقام. فهى تعرض للقرآن الكريم فى بعض كلماته وتبيين معناه ، ونحاول بالنظر الصحيح والرأى الرشيد أن نصل إلى بعض أسراره، ولاندعى الوصول ولكنها محاولة للوصول إلى كلمة سواء يصح الأخذ بها والاطمئنان إليها، وما كان لقضية كهذه أن يسهل صعبها، ويدنو بعيدها، إلا بحبل من الله ومدد من عونه، وعلى نور من هداه. فلم يكن إلا أن أرجع إليه- سبحانه- خاشعاً متضرعاً أسأله- عز شأنه- أن يجنبنى فيها زيغ القول ويعصمنى من خطل الرأى ويباعد بينى وبين التكلف والاعتساف.

وقد تعمدنا فى بحثنا هذا على أن يجمع بين القديم والجديد ؛ وأن يكون محاولة تأصيلية نسمع فيها أراء العلماء القدامى وعلى رأسهم الإمام: المراكشى، الزركشى، السيوطى وغيرهم من فطاحل وأئمة التفسير والبيان من علمائنا الأجلاء.

وفى أثناء عملية التأصيل هذه قمنا باختيار ومناقشة أساتذة عظام لهم باع عظيم وعلم غزير فى علوم البلاغة والقرآن ، ولهم إخلاص وغيرة على كتاب الله عز وجل ، وكان فى مقدمتهم أستاذنا العظيم الدكتور :(عبد العظيم المطعنى) أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وصاحب المكتبة القرآنية العظيمة ومؤلفاته الكثيرة (ومنها: خصائص التعبير القرآنى، والمجاز فى القرآن الكريم وهو مجلد يصل إلى ألف صفحة، دراسات جديدة فى إعجاز القرآن، وسلسلة ردود إسلامية).

وقد اخترنا عرض ومناقشة مقالاته التى كتبها حول هذا الموضوع (خصوصيات الرسم العثمانى) والتى قام بنشرها على صفحات مجلة منبر الإسلام فى خمس وعشرين مقالة بدأها من ديسمبر ٢٠٠٠ .. لأن فضيلته قد قام بعرض آراء علمائنا القدامى الذين ذكرنا

أسماءهم ، ولكنه عرض أدبي مبسط – أغنانى عن تكرار قولهم –، وقام فى بعضها بإضافة رأيه الخاص أيضاً، وقد كنا فى بداية البحث نود أن نعرض لرأى أجلة علمائنا القدامى ولكن كفانا ذلك أستاذنا المطعنى – وهو أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر الشريف وله أسلوبه الأدبي المميز وقد عاش أطراف المحنة التى تنادى بتغيير الرسم العثمانى – رسم المصحف– وادعاء خلوه من الحكمة– ، مع مراعاة أننا سنتعرض لما تركه من أقوالهم ، وسنناقش ما عرضه من آراء وما تركه من استنباطات رغبة فى محاولة منا للوصول إلى عرض كامل وشامل للقضية على قدر الإمكان – كما سترى ذلك عزيزي القارئ –.

وفى أثناء عرضنا فى هذا البحث لم ننس إشراك أفاضل علمائنا فى هذا العصر من فرسان البيان وعلماء البلاغة واللغة من أمثال أستاذنا العملاق الأستاذ الدكتور(فاضل السامرائى) صاحب المكتبة القرآنية والنحوية العظيمة والتى منها : (معانى النحو وهو فى أربعة مجلدات، والتعبير القرآنى، وبلاغة الكلمة، ومن أسرار البيان القرآنى) وغيرها من الكتب والمقالات التى تشير إلى المكانة العالية لصاحبها فى علم البلاغة والبيان.

وقد قمنا فى أثناء بحثنا هذا بالتعرض لبعض وأهم الكتب التى يشير إليها بعض العلماء الأحباء لنا ، ولكنها تسير فى الاتجاه المعاكس لمنهج بحثنا هذا ، مراعاة منا لسماع كل ما قيل من الطرف الآخر ومناقشته على أرض الواقع ، وأشهد الله تعالى أن هذه المناقشة ما كان من هدف منها إلا ابتغاء وجه الله تعالى والبحث عن الحقيقة والوصول إليها ، ولُكِن لكل هؤلاء العلماء كامل التقدير والاحترام .

وكان من هذه الكُتب كتاب (*رسم المصحف دراسة تاريخية*) للدكتور(غانم قدورى) .. وقد اخترناه لمكانته التى أشرنا إليها ، وقد كان عبارة عن رسالة دكتوراه،وهو أكثر من سبعمائة صفحة، واخترنا مناقشته لما رأيناه من الضرورة القصوى لإتمام بحثنا وإكماله، ولتكون الصورة واضحة دون إهمال لرأى الطرف الآخر.. وسنرى كيف يتناقض هؤلاء فى أقوالهم وهم يناقشون القضية بعيداً عن أرض الواقع ، وبدون استجلاب النصوص ومقارنتها . فهو يقول رأياً ويعلم أن آلافا غيره يقولون بغير هذا الرأى التاريخى غير الموثوق فيه – كما يذكر هو ، ويرجح –.. وليس فى ذلك شيء من الحقيقة التى تطمئن بها النفس – كما سنرى–..

وسنقوم فى بحثنا هذا بمناقشة هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآنى خطأ من الكاتب ، وهؤلاء الذين قالوا بأنه سرٌ من الأسرار لايعلمه إلا الله مثله مثل الحروف

المقطعة فى بداية بعض السور، وهؤلاء الذين حاولوا الوصول ولكن قصر باعهم وأعلنوا أنه إعجاز عظيم يحتاج إلى جهد أجيال وأجيال وليس جيل واحد أو فرد واحد.

ولكننى أسأ ل هؤلاء الذين توهموا أن هذا الرسم القرآنى خطأ من الكاتب : لماذا لم يحدث ذلك العجز والخطأ الكتابى أو التطور الكتابى!!- كما يسمنيه هو - فى كتابات كانت معاصرة لكتابة القرآن الكريم - وبنفس أيدى كتبة الوحى - مثل أحاديث النبى (ﷺ) التى سجلها العلماء وحفظوها لنا؟ بل لماذا بقيت هذه الكتابة محفوظة فى رسائله (ﷺ) للملوك والأمراء مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما، والتى سجلها التاريخ بحروفها كما هى، وقد كتب النبى (ﷺ) فيها كلمات مخالفة لما هو فى الرسم القرآنى مثل كتابته كلمة (الكافرين) بالألف، وهى مكتوبة فى القرآن بدون ألف (ٱلْكَٰفِرِينَ) .. وكتب النبى (ﷺ) الآية: وكلمته (ألقاها) بالألف .. وهى فى القرآن بدون ألف (أَلْقَىٰهَا)......وكان يكتب لهم (يا أهل الكتاب) بالألف رغم أنها فى كل القرآن مكتوبة بدون ألف (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ) ....، ونقول له أن الكتبة هم الذين كتبوا الوحى أيضا بأيديهم وفى نفس هذه الحقبة التاريخية ، وفى زمن وجود النبى (ﷺ).

بل ونعيد عليه السؤال مرات ومرات : لماذا كتبوا فى القرآن نفسه أسماء سور القرآن (بالألف) بطريقة مخالفة لرسمها القرآنى التى كتبت جميعها (بدون ألف) مثل:الصافات ، والحجرات ، والذاريات، والمنافقون، والطلاق ،القيامة ، والإنسان ، والمرسلات ، والنازعات والغاشية والعاديات والكافرون وغيرها(جميعها كتبت فى عنوان السورة بالألف) رغم ورودها فى الرسم القرآنى فى بداية وداخل السورة بدون ألف،وكاتبهم هو هو كاتب الوحى أيضاً.. ,وكذلك كتبوا عنوان سورة الليل بلامين وهى مكتوبة فى القرآن كله بلام واحدة (اليل).. فلماذا لا يتأثر كل ذلك - ومعه رسائل النبى (ﷺ) - بهذا المنهج التاريخى الذى يشير إليه كاتبنا دائماً ، ويلغى أى فكرٍ آخر تنطق به النصوص وينطق به رسم الكلمات كما سنرى .

وقد قمنا فى هذا البحث بالتعرض لنوع آخر من أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم وهو ما نطلق عليه "جرس الكلمة" ، وسنرى على عجالة كيف أن حروف الكلمة

ترسم – بصوتها – المشهد الذى تعبر عنه هذه الكلمة – صوتاً وصورة – بإعجاز لم يسبق له مثيل.

وكما يقول الدكتور عيد الطيب فى كتابه (فى فقه اللغة من قضايا الدلالة): أن الدلالة الصوتية تتمثل فى مماثلة جرس الأصوات ورنينها لجرس الحدث ورنينه عندما يكون الحدث من المحسات بحاسة السمع.. وقد تكون هذه الدلالة العرفية قائمة على حسن الاختيار ودقته ، ويتمثل ذلك فى الآتى:

(١) مناسبة صفات الصوت للمعنى.
(٢) مناسبة زمن الصوت لزمن الحدث.
(٣) مناسبة صيغة اللفظ للمعنى.
(٤) زيادة المبنى لزيادة المعنى.

وسنرى ألوانا أخرى – فوق ما ذكره أستاذنا– وسنرى أن هذا النوع من الإعجاز لا ينفصل عن الإعجاز فى رسم الكلمة من زيادة حرف أو نقصانه ، أو فتح التاء أو قبضها، أو الفصل والوصل، أو غير ذلك مما سنعيشه فى بحثنا هذا إن شاء الله، بل إننا سقنا هذا البحث "جرس الكلمة" لأنه عنصر هام ومكمل ولا ينفصل عن موضوع كتابنا هذا ، وأنه من نفس المصدر الذى جاء منه باقى أنواع الإعجاز وعلى رأسها الإعجاز الصوتى والبلاغى. ولعله من المفيد أن يعلم القارىء نبذة سريعة عن موضوع البحث فى رسم الكلمة على هذه الصورة المخالفة لرسمها المعتاد :

(١) فأحياناً تعلو نبرة الحديث فى السياق فنجد إضافة الألف فى الكلمة ، وأحياناً أخرى تهدأ نبرة الحديث فتحذف الألف– كما حدث فى رسم كلمة "سبحان"؛ حيث كتبت فى سورة الإسراء بالألف الظاهرة، حينما كان السياق ملتهباً وعالى النبرة فى مجادلة القوم مع النبى (ﷺ) ورده القاطع والحاسم عليهم.... وفى باقى الآيات فى السورة وفى السور الأخرى حينما كانت النبرة هادئة ودعوة للتسبيح فقط حذفت الألف فكتبت (سُبۡحَٰنَ) فى آيات كثيرة سنعيشها فى بحثنا هذا إن شاء الله.

(٢) وأحيانا يقوم رسم الكلمة برسم صورة للهدم والإفناء فتحذف الحرف من الكلمة، وترسم صورة البناء والتشييد فتزيد الحرف (راجع بحثنا عن : تراباً بالألف وبدون الألف ،عظاما بالألف وبدون ألف..وغير ذلك).

(٣) وأحياناً ترسم الكلمة الصورة المادية فتضع الألف ، وأحياناً ترسم الصورة المعنوية أو الغيبية أو الملكوتية فتحذف الألف (راجع على سبيل المثال: القواعد بألف وبدون ألف، وغيره).

(٤) وأحياناً تفرق الكلمة بين المجاز والحقيقة فى الكلمة والمشهد المعروض وذلك بحذف الألف أو وضعه ؛ فترسم صورة لمشهد المجاز بحذف الألف ، ثم تعود بنفس الكلمة فترسمه على الحقيقة بإضافة الألف.

(٥) وأحياناً ترسم الكلمة صورة للمشهد السريع أو المتناقص بحذف الألف ، والمشهد المتباطىء أو الكامل بوضع الألف (ويدع الإنسن..).

(٦) وأحياناً ترسم صورة المشهد أو الفعل المتحرك بإضافة الألف، وترسم صورة المشهد الساكن بحذف الألف (كمثال: باسط – بالألف وبدون الألف. وَكَلْبُهُم بَسِطٌ.وغيره).

(٧) وأحياناً ترسم خفة الحدث بخفة الحروف ، وثقل الموقف أو تفخيمه بزيادة حرف أو أكثر (جزاء،جَزَٰٓؤُا.. دعاء ، دُعَٰٓؤُا،... الضعفاء ، ٱلضُّعَفَٰٓؤُا..أبناء ، أَبۡنَٰٓؤُاْ...البلاء ، ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ.. ٱلصَّلَوٰةَ ، الربا ، ٱلرِّبَوٰاْ..وراء حجاب، مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ .. وهكذا الكثير).

(٨) وأحيانا يفرق رسم الكلمة بين صورة الفعل وصورة الاسم (نعمة الله لا تحصوها...نعمت الله لا تحصوها ، رحمة، رحمت...سنة ، سنت...امرأة، إمرأت...شجرة الزقوم ، شجرت الزقوم... جنة، جنت..).

(٩) وأحياناً ترسم الكلمة صورة الفراش الهادىء والمريح (تعبر عنه بحذف الألف – (ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا–) وترسم اشتعاله واضطرابه والتقلب عليه بإضافة الألف (لهم من جهنم مهاد).

(١٠) وأحياناً تلفت النظر إلى الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق بإضافة الحرف أو حذفه ، بل وبين صفات الخالق نفسها مثل (تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) فالأولى(الجلال) بدون ألف والثانية (الإكرام) بالألف،و(تبارك) بالألف وبدون ألف.. وهكذا.

وأحيانا تفرق بين أفعال الخالق وأفعال غيره (طائف من ربك ، طَٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ) وغير ذلك تحت هذا العنوان.

بل أحياناً ترسم شجرة العائلة رسماً مبهراً من (الأبناء ، والوالدة والوالدين والأخوات والعمات والخالات والروجات والصاحبة.. وكل هذه الصور من العلاقة فى شجرة العائلة بدقة رهيبة نراها فى بحثنا هذا تحت هذا العنوان (شجرة العائلة كما رسمها القرآن بحروف الكلمة).

(١١) وتفرق بين المادى والمعنوى (لدا الباب ، القلوب لدى الحناجر).

(١٢) وأحياناً تعبر عن نقص الحدث بصورته وبزمنه وذلك بحذف الحرف ، وتعبر عن اكتماله بإضافة الحرف. (وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ) لأنها رضعة أو بعض رضعة ، بخلاف قوله (لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ) فهى حولين كاملين

(١٣) ومن الإعجاز أيضاً أن تُرسَم الكلمة رسماً يجمع بين وجوه القراءات المختلفة بصورة مدهشة؛ كما سنراه تحت عنوان (مدخل إلى إعجاز الرسم من خلال القراءات والإمالة)؛ وكأن هذا الرسم للكلمة يؤلف بين هذه القراءات وبين ألسن العرب.

(١٤) والرسم القرآنى يفرق بين المشهد التصويرى الحالى وبين حكاية حال غائبة أو ماضية .

(١٥) بل يراعى الرسم حتى مجرد الهمس للصوت وكما يري "سيبوية" أن حذف الهمزة في (الخبء) –وأصلها (الخبأ)–وأشباهها إنما حذفت الألف ههنا لأنك لم ترد أن تتم، وأردت إخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقي ساكن وحرف، ((وهذا ملحظ هام جداً جداً لو أحسنوا تطبيقه وتأمله على أرض الواقع.. فلأنه أراد إخفاء الصوت فقام بإخفاء الألف

وهكذا يفرق الرسم أيضاً بين شدة وضراوة المشهد ، ولين وهدوء الموقف الآخر، – كما نردد فى دروس البلاغة (وكما يقول الإمام السيوطى :وأن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظ فخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداولة، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك..(وطبّق هذا على ما قلناه فى (انفجرت.. وخطايا) و(انبجست ..وخطيئات– خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡ)

ويفرق الرسم بين مشهد السرعة ومشهد البطء والهدوء ، ، ويفرق بين مشهد النصح باللين أو التعنيف والشدة ، وبين موقف تعلو فيه نبرة التهديد والوعيد وعذاب جهنم، وبين آخر يسود فيه موقف البشارة والتبشير ، بل أحياناً يرسم صورة الشيء المتحدث عنه بارتفاعه أو انخفاضه ، أو إذا كان يحتاج الستر والإخفاء أو الظهور والاستعلاء ، ويرسم بجرس حروف الكلمة عمق الشيء أو سطحيته ، ويرسم بجرس الكلمة ورسم حروفها ما إذا كانت الكاميرا المصورة هنا تصور على الأرض أم تصور فى السماء، أو يرسم الكلمة على صورة الفعل نفسه : فإن كان الفعل يشير إلى الهدم والإفناء كتبت بغير الألف (القواعد و..)، وإن كان عكس ذلك كتب بالألف .

وكذلك يصور صورة الفعل والصفة : إن كان فعل حركة، وحركة إيجابية،كتب بالألف ، وإن كان يشير إلى السكون أو حركة سلبية كتب بغير الألف، (باسط ، عامل) وهكذا.

وفى دراستنا هذه سنتعرض لبعض هذه الكلمات القرءانية التى جاء رسمها مخالفاً للقواعد الإملائية المتعارف عليها، ونحاول أن نتلمس وجه الحكمة فى ذلك كما يقول صاحب كتاب الإبريز "للشيخ عبد العزيز الدباغ"عن رسم الكلمة فى المصحف: وهو سر من الأسرار خص الله بها كتابه العزيز دون سائر كتبه السماوية.. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز.. وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية .. وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لاتدرك إلا بالفتح الربانى ، فهى بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التى فى أوائل السور، فإن لها أسراراً كثيرة ومعانى كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعانى الإلهية التى أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذى فى القرءان حرفاً بحرف ..(من مناهل العرفان للزرقانى).

وسنحاول فى بحثنا هذا إشراك القارىء الكريم معنا فى البحث والغوص فى بعض أسرار اللفظ القرآنى والرسم القرآنى للكلمة ، وسنعيش معاً أمتع لحظات العمر ، كما هو شأن القرآن دائماً الذى عودنا على الجمال والكمال ، وعلى إمتاع العقل وإشباع العاطفة ، وكما قال الحبيب (ﷺ):... لاتزيغ به الأهواء..، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد))

ولعل من المدهش أن نرى صورة هذا الإعجاز فى رسم الكلمة فى بداية أول آية فى كتابه الكريم فى قوله تعالى (بسم الله) وقد كتبت (بسم) بدون ألف ، رغم ورودها

فى سياقات أخرى مثل (باسم ربك...) وقد وضع فيها الألف .. ويظل دائماً السؤال فى رحلتنا هذه : لماذا تم هذا ؟ وما الحكمة فى ذلك ؟ حتى لانكرر هذا المعنى فى كل مثال، وعلى سبيل المثال:

(١) لماذا كتب (كتاب) مرات بالألف ومرات بدون الألف ، وهكذا كلمة (قرءان) بالألف ومرات أخرى بدون ألف ؟ بل إن الأمر ليتطور إلى أعلى من ذلك ليكون السؤال هو: فى مقدمة سورتى النمل والحجر – على سبيل المثال – لماذا قال فى الحجر: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَٰبِ وَقُرْءانٍ مُبِينٍ (١) وفى النمل: طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْءانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)، فقدم فى الحجر (الْكِتَٰبِ) ورسمه بدون ألف وأخر فى النمل (الْكِتَابً) وكتبه بالألف ..

فلماذا حدث ذلك ؟ وهل هذا المذكور يتناسب مع ظل ورسم مشاهد كل سورة رسمت فيها هذه الكلمة بتلك الصورة ؟؟ أو هل هذه السورة (جميعها) تحتاج هذه الرسمة وهذا التقديم بخلاف السورة الأخرى ؟ هذا ما سنجيب عنه بالتفصيل فى داخل البحث ، وقد كان هذاالسؤال من بعض أسئلة الإخوة المشاهدين لى على قناة البركة الفضائية. إضافة إلى بعض الأمثلة الأخرى مثل:

(رءا) فى آيات كثيرة و(رأى) فى آية واحدة....

و(سَمَٰوَٰت) فى كل القرءان بدون ألفين ، ماعدا آية فصلت كتبت (سَمَٰوَات) أظهر فيها الألف الثانية......... (بأيد سفرة) بياء واحدة و(وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ) بياءين،.... (بأييكم)، و(أيكم)... (أفأين مات) وحقها أن ترسم (فإن).، (إن). ..

(آناء الليل) و(ءاناىء الليل) ....و(إيتاء الزكاة) (إيتاىء ذى القربى).

(أيها..) و(أيه) ... (صَاحِبُهُۥ ،لِصَٰحِبِهِۦ).........

(الرسولا) وهى لاتكتب بالألف أبداً إلا فى هذا اللرسم القرآنى ، والأخرى (الرسول)..... وهكذا (السبيلا) و(السبيل).. و(الظنونا) و(الظنون)..:

و(جاء) و(وجاىء) و(ٱلصَّلَوٰة، زَكَوٰة، ٱلۡحَيَوٰة، ٱلرِّبَوٰا" بِٱلۡغَدَوٰة - كَمِشۡكَوٰة- ٱلنَّجَوٰة- وَمَنَوٰة (وبالولدين إحسانا) وأخرى (وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا) ..... (ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا) (لهم من جهنم مهاد) .... و(هاجر) جميعها بالألف و(جٰهد) جميعها بدون ألف حتى لو كتبتا فى آية واحدة أو فى آيتين منفصلتين.

تـــراب .. (تُرَٰبًا) .. ومثلـــها(عظامـــا) و(عِظَٰمًا) .... ومثلـــها (الغمـــام) و(ٱلْغَمَٰمِ).....(الرياح) و(ٱلرِّيَٰحِ) وقرءتا بصيغة واحدة وهى الجمـــع............ (القواعد) و(وَٱلْقَوَٰعِدِ)........(شاهد ، شَٰهِدًا)... (بأفواهكم، أَفْوَٰهِهِم)....ويقـــول للزوجين (إن يريدا فصالاً) ، وفى فطام الأم لطفلها:(وفصــــله فى عامين).... (سعوا فى آياتنا معجزين)بالألف فى نهاية الكلمة (سعوا)، ووردت بنفس هذا النص ولكنـــها بدون ألف فى (سعو).... (إسطـــــعوا) و(استطـــعوا) ....و(طغـــى) ، (طغـــا) والنطق واحد.. (سراجا) و(سرجاً)....(لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ..)،... (وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ.).

وهكذا كلمة (كذّابا) بالألف و(لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا) بدون ألـــف والنطق واحد...(وجاوزنا) و(وَجَٰوَزْنَا)....(ولاتك فى ضيق) و(ولاتكن فى ضيق) ...، (ساحر) و(سَٰحِرٍ)....(واشهد بأنا) و(واشهد بأننا).... و(ليكونن..) و(ليكوناً مـــن الصاغرين) و(لنسفعاً)...و(إبرهيم) فى كل القرءان بالياء بعد الهاء، ماعـــدا ســـورة البقرة(إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ) بدون ياء.... و(اليل) بلام واحدة – أى أن الكلمة ناقصة ، بخلاف (النهار) جاءت كاملة. ٱلْقَوَاعِد، وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ....(نبغـــى) و(نبـــغ).. و(يأتى) و(يأت).... (واخشونى) و(واخشون) (عسى ربى أن يهدينى) ، (عـــسى أن يهدين ربى) حذف حرف الياء من "يهدينى" وتقديم ربى فى الآية الأولى....(ثم كيـــدونِ فلا تنَظرون.. فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون).

وهكذا فى أمثلة أخرى للحذف مثل: (يدعوا) و(يدع) بدون وجود حرف جزم قبلها يستدعى حذف الحرف .. وهكذا (يمحو) و(يمح)

ونوع آخر من الإعجاز فى رسم الكلمة سنعيشه فى بحثنا هذا وهو فتح التاء وقبضها مثال:–(رحمة) و((رحمت) .. و(نعمة) و(نعمت)... و(شـــجرة الزقـــوم) و(شـــجرت الزقوم)، (سنة) و(سنت) ،(لعنة ، لعنت)، (جنة ، جنت)، (إمرأة ، إمرأت).

وهكذا الفصل والوصلْ (كل ما، كلما)(إن ما، إنما) (لكى لا، لكيلا)و...

وهكذا الكثير والكثير الذى سنعيشه فى داخل البحث فى رحلة ممتعة ومشبعة مـــع لون عظيم من إعجاز القرآن ، وسنحاول أن نكفى الموضوع حقه – وإن كان هـــذا

بالطبع غير مستطاع ولا ندعيه – ولكنها محاولة لأن تكون دراسة مشبعة للقارئ ومتكاملة على قدر الإمكان ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

وصدق العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطى حيث يقول:

واالخط فيه معجز للناس وحائد عن مقتضى القياس
لاتهتدى لسره الفحول ولاتحوم حوله العقول
قد خصه الله بتلك المترلة دون جميع الكتب المترلة
ليظهر الإعجاز فى المرسوم منه كما فى لفظه المنظوم

ويظل هناك سؤالٌ دائماً يسأل وهو : هل رسم المصحف هذا توقيفى من الله– أى أمر الرسول محمد (ﷺ) برسمه على هذه الصورة –، أم أنه توقيفى عن الصحابة رضوان الله عليهم؟ وهنا اختلف العلماء فى ذلك ولكنهم أجمعوا على حرمة تغيير هذا الرسم ، ونقل الزركشى والإمام الدانى ما ملخصه: وقال أشهب سئل مالك رحمه الله هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتبة الأولى ، رواه أبو عمرو الداني في المقنع ، ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك فقال لا ، قال أبو عمرو يعنى الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى ، المعدومتين في اللفظ ، نحو الواو في أولوا الألباب وأولات والربوا ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك

وقالوا عن رسم المصحف أن الصحابة قد أجمعوا جميعهم على هذا الرسم ((ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق))

ولذلك أرى أن أقل ما يقال فى ذلك أنه توقيفى عن الصحابة (إثنى عشر ألف صحابى) رضوان الله عليهم وأنهم أجمعوا على ذلك الرسم، ويكون ذلك – على أقل تقدير – بمثابة وحى من الله لهم لحفظ أعظم كتاب فى الوجود برسمه وحروفه كما هو– محتوياً على أسرار فى رسمه ستظل شغل العلماء إلى أن تقوم الساعة مثله مثل باقى أنواع ونواحى الإعجاز الأخرى ، وهذا تصديقاً لقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر. ويكون إلهام للصحابة أو وحى من الله لهم بذلك كما أوحى للحواريين فى قوله تعالى ({وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ} (١١١) سورة المائدة.

وهذا التوقيف عن الصحابة – على أقل تقدير – لايقلل من شأن هذا الإعجاز كما يتخيل ذلك البعض ولكنه كما يقول العلامة الدكتور عبد الله دراز فى موقف مشابه وقضية مشابهة وهى ترتيب سور القرآن وكان نفس التساؤل وقد كان يرى أن ترتيب السور – كما هو فى المصحف الشريف لدينا – هو كما رتبها الله تعالى – وليس توقيفى على الصحابة ، ولكنه قال بعد ذلك قاطعاً للجدل: ونعود الآن فنفترض جدلاً أن ترتيب السور لو لم يكن بتوقيف إلهى ، ولا بتوقيف نبوى ، وأنه كان من عمل الصحابة باجتهاد منهم، ألا يكفينا فى حرمته وقداسته أنه استقر عليه إجماعهم وإجماع المسلمين من بعدهم.. (وهذا الكلام نردده أيضاً لهؤلاء الذين ينكرون خصوصية الرسم القرآنى والذى هو على أقل تقدير توقيف من الصحابة وأجمع عليه جمهورهم).

ثم ذكر حسد اليهود والنصارى لنا على حفظ الله القرآن كما هو لا يختلف فيه حرف واحد عند سنى ولا شيعى منذ أربعة عشر قرناً.. وعلى انفصال بعض كلمات شأنها أن توصل، واتصال كلمات شأنها أن تفصل، ونحو ذلك من الرسوم القرآنية المخالفة للرسم الإملائى المقرر فى كتب النحو والصرف، ويستدلون ببقاء هذا كله فى المصاحف الإسلامية– برغم اختلاف العصور وتطور العلوم– على مبلغ القدسية التى أحاط بها المسلمون كتابهم من أول يوم، وعلى أن النص الذى تلقوه من نبيهم (ﷺ) بقى كما هو لم تنله يد قط بأدنى تغيير أو تبديل، مع وجود الحاجة إلى بعض التعديلات تسهيلاً على المبتدئين..

أما عن دعواهم أن النبى (ﷺ) لا يقرأ ولا يكتب ، فكيف عرف هذا الرسم وأمر به، وهنا ترد علينا روايات أن الرسول (ﷺ) كان يقول للصحابى (أمل هذا الحرف ، وافعل كذا وكذا ..)وهذا على سبيل النقل من النبى (ﷺ) لما يراه أمام عينه من رسم القرآن الذى أظهره الله له أمام بصره ومنطبعٌ على قلبه، كالطفل الذى يرى حروف إسمه – وهو لا يعرف الكتابه– ولكنه لو رآها فإنه يشير إليها وإلى صحتها – على سبيل النقل وليس لمعرفة الكتابة،

والقرآن نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة فى ليلة القدر ، (وهو ماكان يراه النبى (ﷺ) (كالمبنى المتكامل)– فى السماء بعد أن يترل عليه جبريل – والذى يراد إعادة بنائه كما هو بنفس ترتيبه على الأرض– والنبى (ﷺ) المأمور بهذا البناء يراه أمام عينيه ويرى تفاصيل البناء ومواقع كل لبنة فيه ؛ فهو كالقصر المنيف – فى السماء– الذى

يراد إعادة بناءه على الأرض بكل غرفه ومساربه ودروبه ، وكانت تنزل منه قطعة من حجرة الاستقبال فيرى البناء محمد(ﷺ) موقع هذه اللبنة التى نزلت منها، ويرسم لهـا مكانها على الأرض لتكون على نفس النظام البديع الذى يراه امام عينيه فى السـماء، فكان إذا نزلت لبنة أو شرفة (وهى مجموعة الآيات هنا) فإذا بالبـصير (ﷺ) يقـول للكاتب ضعها فى المكان الأسفل أو الأوسط من سورة كذا، ثم تـأتى لبنـة أخـرى (مجموعة آيات) فيقول للكاتب ضعها فى المكان الفلانى – الذى هو صورة ما يراه فى السماء وينطبع على قلبه وأمام ناظريه، ويتوالى هذا النزول – على غير إرادة أو طلب أو معرفة مسبقة من النبى (ﷺ)، ويتكرر الوضع لها من النبى (ﷺ) فى المكان المناسب إلى أن تكتمل صورة هذا القصر المنيف – كما هى عليه فى السماء– ومن الإعجاز الخارق فى ذلك أن هذه الآيات – اللبنات– كان يأمر الصحابى بوضعها فى هذا المكان أو ذاك دون أن يغيره أو يزحزحه من مكانه أبداً ، وهنا أترك العلامة الأستاذ الـدكتور دراز ليوضح لنا هذا الغعجاز بأسلوبه الأدبي الرفيع الذى سنـضطر أن نتـدخل لـشرح وتوضيح مايرمى إليه حيث يقول:

فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها(لنزول آيات القرآن التى تخـالف الـنظم الذى عليه القرآن الآن) والتفتيت المتناهي في نزول الآيات(أى لم تـنزل الـسورة مـرة واحدة) . ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجه عام مرتبطاً بظروف ومناسبات خاصة(أى يأتى على غير علم النبى (ﷺ) وربما عن طريق سائلٍ بأسئلة لا يعلمها النبى (ﷺ) وينتظـر فيها الوحى) ، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة علي شكل وحدة مستقلة.. **ثم يشرح كيفية تجميع هذا النص القرآنى فيقـول:** فالواقع أنه فور نزول الوحي علي الرسول كان كل جزء منه صغيراً أو كبيراً يوضـع في السور التي لم تكن قد اكتملت بعد، وفي مكان محدد من السورة ، وفي موضع رقمي من آياتها ، وفي ترتيب لم يكن دائما هو الترتيب التاريخي . وبمجرد وضع الآية أو الآيات في موضع ما ، بقيت فيه إلى الأبد ، دون أن يطرأ عليها تحويل أو تصحيح . من هذا نقـول إنه لابد كان هناك تصميم لكل سورة (أى قبل نزولها إلى الأرض)، فضلاً عن تصميم أو خطة عامة للقرآن في جملته ، بمقتضى كل منهما ، كان كل وحي جديد يوضع في مكانه تواً بين آيات هذه السورة أو تلك ، من السور المفتوحة .

ولا شك أن طريقة القرآن هذه ليست لها مثيل علي الإطلاق . فلا يوجد أي كتاب من الكتب في الأدب أو في أي مجال آخر ، يمكن أن يكون قد تم تأليفه علي هذا النحو أو في مثل هذه الظروف. وكأن القرآن كان قطعاً متفرقة ومرقمة **من بناء قديم** (أى القـــرآن مبنياً فى السماء)، **كان يراد إعادة بنائه في مكان آخر علي نفس هيئته السابقة (أى على الأرض كما هو فى السماء)** . وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آن واحد ، فيما يتعلق بكثير من السور ، إذا لم تكن الصحائف الخالية والصحائف التامة تمثل وحدة كاملة في نظر المؤلف؟

ونضرب لك مثلا :-

قدر في نفسك أن رجلاً نزل وادياً فسيحاً ليس عليه بنيان قائم ، وليس به شئ من مواد البناء وأنقاضه ، فما لبث أن أحس برجفة أرضية أو عاصفة سماوية . وإذا قمة الجبل تنصدع قليلاً فتلقي بجانبه صخراً أو بضعة صخور .. ثم تمضي فترة طويلة أو قصيرة ، وإذا هزة ثانية أو ثالثة تلقي إليه شظيات من الحديد والحمم ، أو نثارات من الفضة والذهب .. أتري أن هذا الرجل أو أن أحداً من العقلاء يستطيع منذ اللحظات الأولي أن يضع تصميمه علي إقامة مدينة جامعة من تلك المواد المتناثرة ومما عساه أن يجئ من أمثالها ؟ وأن يبدأ بالعمل في مهمة التخطيط والبنيان ؟ فما يدريه لعل هذه الظواهر لا تتكرر أمامه نزلة أخرى ، ثم ما يدريه أنها إن عادت كم مرة تعود ، وما نوع المادة التي تتساقط معها في كل مرة ، وكم عدة القطع في كل مادة من هذه المواد ، وكم عدة الأبنية التي يمكن إقامتها منها ، وما النظام الهندسي الخاص بكل بناء : سعة وارتفاعاً ونقشاً وزخرفاً ، وما ذرع الفضاء الذي ستشغله هذه الأبنية جملة ؟ ..

في هذا الجو المملوء غموضاً وإبهاماً لا يجرو عاقل أن يغامر بتصميمه في بناء كوخ حقير ، فضلاً عن بلد كبير ، فضلاً عن أن يهب من فوره لإنفاذ عزمه فيمضى في مهمة البناء منذ وصلت إليه تلك اللبنات الأولي .

ولئن افترضت إنساناً غامر هذه المغامرة ، وأن المقادير سارعت في هواه ، وأسعفته بما شاء من مواد البناء الذي تخيله وتمناه ، أتراه يعمد إلى مخاطرة اخرى ؛ فيتخذ له في البناء أسلوباً يراغم به قانون الطبيعة ، بأن يؤلي علي نفسه ألا يدع لبنة تصل إلى يديه إلا أنزلها — في ساعة وصولها — منزلها الخليق بها حيث كان ؟ ذلك علي حين أن تلك اللبنات لم تتساقط إليه متجانسة مرتبة علي ترتيبها في وضعها المنتظر ، بل جعلت تتناثر خفافاً وثقالاً ، مختلفاً

ألوانها وأحجامها وعناصرها وطاقاتها ؛ فربما وقعت له الزخارف والشرفات ، قبل أن تقع له بعض القواعد والسافات ، وربما وقعت له علي التوالي أجزاء ناقصة لتوضع في أماكن متفرقة ، من أبنية متنائية ، أفلا تراه إن ذهب يضع كل جزء ساعة نزوله في موضعه المعين لم يجد مناصاً من أن يبده أجزاء البناء هنا وهنا ، علي أبعاد غير متساوية ولا متناسبة ، فيقارب بينها طوراً ويباعد طوراً ، ويعلو بها تارة وينزل تارة أخرى حتى لقد يبني أعلي البيت قبل أسفله ويمسك المحمول معلقاً بدون حامله .

فكيف يطيق بشر كائنا من كان أن يضطلع بهذه المهمة ؟ ثم كيف يمضي قدماً في هذا الأمر إلى نهايته ، فلا يعود إلى جزء ما ليزيله عن موضعه الذي أحله في أول مرة ، أو ليلتجئ فيه إلى كسر أو نحت أو حشو أو دعامة ؟ ثم كيف تكون عاقبة أمره أنه في الوقت الذي يضع فيه آخر لبنة علي هذا المنهاج يرفع يده عن مدينة منسقة ليس فيها قصر ولا غرفة ولا لبنة ولا جزء صغير ولا كبير إلا وقد نزل منزله الرصين الذي يرتضيه ذوق الفن، حتى لو تبدل واحد منها مكان غيره لاختل البنيان أو ساء النظام ؟ أليس ذلك إن وقع يكون تحدياً للقدرة البشرية جمعاء ؟

ألا فقد وقع مصداق هذا المثل في مسألتنا . وإليك البيان :-

(أما) الرجل فهو هذا النبي الأمي صلوات الله عليه .

(وأما) المدينة الجامعة التي شرع في بنائها منذ وقعت له لبناتها الأولي فذلك الكتاب العزيز الذي أخذ هو منذ وصلت إليه باكورة رسائلة يرتب أجزاءه ترتيب الواثق المطمئن الي أن سيكون له منها ديوان تام جامع .

(وأما) القصور ، والغرفات ، واللبنات ، فهي أجزاء هذا الديوان : من السور، والنجوم، والآيات .

(وأما) تلك العوامل الفجائية التي جعلت تستنزل من مختلف معادن الجبال ما ركبت منه هذه القصور المشيدة فتلك هي الأحداث الكونية والاجتماعية ، والمشاكل الدينية والدنيوية التي كانت تعترض الناس آنا بعد أن في شؤونهم العامة والخاصة ، فكان يتقدم بها المؤمن منهم مستفتيا ومسترشداً ، والمكذب مستشكلاً ومجادلاً ، وكان علي وفق ذلك يتنزل الكلام نجماً فنجماً ، بمعان تختلف باختلاف تلك المناسبات والبواعث ، وبمقادير تتفاوت قلة وكثرة ، وعلي طرق تتنوع لينا وشدة .. ومن هذه النجوم المختلفة المتفرقة صارت تتألف المجاميع المسماة بالسور ؛ لا علي أساس التجانس بين أجزاء كل مجموعة

منها ، بل علي أن يأوي إلى الحظيرة الواحدة ما شئت من فصائل الجنس الواحد والأجناس المتخالفة

(وأما) الطريق العجب الذي اتبع في تأليف تلك الأبنية من أجزائها – وهو السبب الثالث الذي رفع المسألة من حد العسر الي حد الإحالة – فهو أن ذلك الذي نزل عليه الذكر لم يتربص بترتيب نجومه حتى كملت نزولا ، بل لم يتريث بتأليف سورة واحدة منه حتى تمت فصولاً ؛ بل كان كلما ألقيت إليه آية أو آيات أمر بوضعها من فورة في مكان مرتب من سورة معينة . .....

وهكذا يرينا هذا الشرح المبسط أن النبى (ﷺ) كان يرى الكلمات والحروف أمام عينيه ويأمر بوضعها على نفس الصورة التى تتواجد عليها ومرسومة أمام عينيه فى صفحة السماء، فهو ينقل مابراه حتى وإن لم يعرف الكتابة.

وفى النهاية نترك هذا الجدل النظرى ونعيش مع التطبيق العلمى لهذا الإعجاز على أرض الواقع وسندنا ودليلنا هو هذا النص القرآنى الذى نتحاكم إليه وندعو الجميع – مؤيداً ومعارضاً– إلى هذا التحاكم ، ونسأل الله أن يعصمنا من الذلل وأن يمن علينـــا بفضله وكرمه .

التمهيد وخطة البحث

وقبل أن نبدأ الشرح والتوضيح نبين للقارىء أن خطة هذا البحث ستكون كالآتي:

أولاً: سنحاول التعرف على آراء علمائنا القدامى وعلى رأسهم الإمام المراكشي والزركشي والدانى والسيوطى وغيرهم من الذين خصصوا أبواباً عن رسم المصحف وتناولوه بصورة مباشرة، وقد قمنا فى بداية الأمر بتلخيص آرائهم وأقوالهم والتعليق عليها؛ سواء بالموافقة أو الاعتراض أو النقص أو الزيادة ، ولكننا لاحظنا أن أستاذنا العظيم الدكتور عبد العظيم المطعنى قام بهذه المهمة بالعرض والتهذيب والتبويب بطريقة بلاغية رقيقة – كعادته أكرمه الله تعالى – وهو أستاذ البلاغة والنقد بالأزهر الشريف وعملاق من عمالقة الفكر واللغة ، وله إخلاص وحب عميق لكتاب الله عز وجل والدفاع عنه فى كل ميدان (سواء فى إظهار إعجازه وبلاغته ، أو رد الطعون عنه من أكابر المغرضين فى الداخل والخارج) ، وقد تناولنا مقالاته (فى الجزء الأول من الكتاب –كمقدمة لأبواب البحث) –وذلك لحسن تبويبها أيضاً – مما يعطى البحث صورة التكامل والتنظيم – على قدر الإمكان– فقد قمنا بعرض هذه المقالات التى كتبها فى مجلة اللواء الإسلامى على هيئة مقالات شهرية، ولاحظنا فيها التأنى من كاتبها والاعتماد على آراء هؤلاء العلماء القدامى الذين أشرنا إليهم ، مع إضافته لبعض توجيهاته وأفكاره التى ستُمتعنا تارة ، وتحتاج منا التعليق أو التعديل أو الحذف أو الإضافة تارة أخرى ، وسيرى القارىء أننا بهذا المسلك سنكون قد أوفينا الموضوع حقه على قدر الإمكان ، لأنه ليس لنا ولا للأمة جميعها أن يصلوا إلى الوفاء الكامل بحق هذا اللون وغيره من ألوان الإعجاز القرآنى ، وسيظل دائماً نبعاً فياضاً لايشبع منه العلماء ولاتنقضى عجائبه .

وقد شاء الله تعالى أن يكون الرسم القرآنى على غير الرسم بالصورة المعتادة لدينا فى الكتابة ليظل شغل العلماء الشاغل والدائم مشيراً إلى هذا الإعجاز ومتطلباً البحث فيه إلى يوم القيامة.

وقد لاحظنا عدم عرضه لبعض أقوال القدامى (وخاصة مسألة تعدد الرسم للكلمة فى بعض المصاحف) وقد قمنا بتغطية هذا الجانب فى عناوين مستقلة، وقمنا

بإضافة مئات الصفحات متداركين ما تركه هؤلاء وهؤلاء وخاصة فى مسألة (حذف الألف) أو (زيادته) من الكلمة فى أبواب مستقلة أو فى ثنايا تعليقنا على أقوال العلماء، وهو باب يحتاج إلى عميق التدبر ، وقد لاحظنا أنه قد تركه الكثير ولم يخوضوا فى البحث فيه – كما سنرى.

وسنحاول فى هذا البحث استصحاب آراء أعلام البلاغة وفرسان اللغة من القدامى (وعلى رأسهم أئمة التفاسير وخاصة التفاسير البلاغية منهم) وغير القدامى من علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم الدكتور فاضل السامرائى ؛ وهو غنى عن البيان والتعريف لما قدمه من مكتبة عملاقة فى علم البيان واللغة ، ويكفى الإشارة إلى بعض مؤلفاته (مثل معانى النحو – أربع مجلدات–) و(التعبير القرآنى) و(لمسات بيانية)، (خطوات على التفسير البيانى) وغيرها من الكتب والمحاضرات التى ألقاها على طلبة الدكتوراه.... واستصحبنا معنا فى رحلتنا هذه غيره من العلماء الذين سيأتى ذكرهم فى أثناء البحث ، مع استئناسنا أيضاً بعلم القراءات وآراء علمائه، حتى يتبين للقارىء أن مسألة الإعجاز فى رسم المصحف لاتنفصل عن باقى نواحى الإعجاز الأخرى بل إنها تتعانق وتتناسق وتتكامل لترسم أروع وأبهى وأجمل لوحة فنية فتية تحوى غاية الجمال والكمال فى النص القرآنى.

ولم ننس قبل نهاية المطاف عرض ومناقشة الطرف الآخر، وكان دكتور قدورى ممثلاً لهذا الاتجاه، وهو أكثر من تناول هذا الاتجاه فى دراسة مطولة ونشر فيه بحثاً كبيراً (أكثر من ستمائة صفحة) وكان عبارة عن رسالة دكتوراه له ، وقد أسماه (رسم المصحف) دراسة تاريخية ، وقد تعمدنا مناقشة هذا الكتاب بصفة خاصة لما رأيناه من أن بعض علمائنا من يشير علينا بقراءته قاطعاً أى مجال للبحث فى هذا اللون من ألوان الإعجاز؛ ربما تقصيراً منه أو انشغالاً عنه، وربما عدم التعمق أو التدبر لضيق الوقت لديه ، أو ربما عدم إدراكه لأطراف القضية التى كان يجب عليه مناقشتها من واقع النصوص – كما سنرى – وليس من أقوال هذا أو ذاك .. والفيصل فى ذلك هو استعراض النصوص القرآنية على أرض الواقع – وهذا ما أعتقد أنه يرضى كل العلماء المخلصين والصادقين مع الله ومع النفس _ والأمر بعد ذلك لا يحتاج إلا إلى وقفة تدبر وتأمل

عميق مستلهماً قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ سورة النساء.

و قوله تعالىَ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤) ﴾ سورة محمد.

ولذلك كان هذا الكتاب مخاطباً أحبابنا العلماء وإخواننا الدارسين والباحثين عن هذا اللون الهام والشيق من ألوان الإعجاز القرآنى بأسلوب مبسط لايمله العالم ولا يستصعبه القارىء البسيط مستبعداً المصطلحات النحوية أو البلاغية التى يستصعبها الدارس الغير متعمق أو القارىء المتعجل لنيل أكبر قدر من المعلومة بأبسط أسلوب .

والآن أدعوك عزيزى القارىء للدخول معنا فى هذه السفينة العميقة والمبهرة فى آن واحد لنغوص فى داخل هذا البحر العميق الذى يحوى الأسرار واللطائف والجمال والمتعة والإبهار فى بحث يبرز هذه الصور جميعها بعنوان : (الجلال والجمال فى رسم المصحف) .

والله الموفق وعليه التكلان وماكان من توفيق فمن الله وما كان غير ذلك فمن نفسى ومن الشيطان وأسأل الله عز وجل العفو والغفران.. داعين الله عز وجل:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) ﴾ الفرقان. ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (286) ﴾ البقرة.

آمين .. آمين .. آمين

المؤلف